حولية الكوفة

دورية سنوية، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به . العدد السادس . شهر شوال . ١٤٣٧ هـ / تموز . ٢٠١٦ م

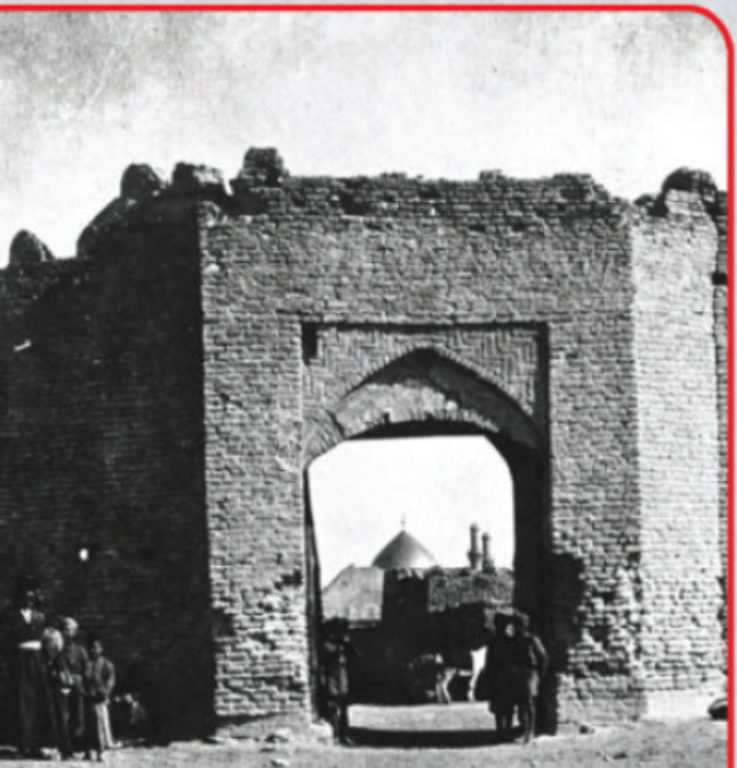

عدد ممتاز

بمناسبة ختام فعاليات عام الامام علي (عليه السلام)

٦

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

رئيس التحرير
د. كامل سلمان
الجبوري

(13)

الكندي

الرائد الأول للفلسفة الإسلامية ومفخرة الفكر العربي

(الجانب التاريخي)

العلامة الدكتور السيّد محمد بحر العلوم

المقدمة

لسماحة العلامة الكبير السّيد محمّد تقي الحكيم

أستاذ الأصول والفقه المقارن في كلية الفقه

(1)

كنت أقرأ عن الكندي وله قراءات عابرة لا يقصد من ورائها غير التّعرف النّسبي على فيلسوف عرف بين أعلام الفكر بالرّائد الأوّل للفلسفة الإسلامية ومؤسسها وما كانت هذه القراءات لتبعث في نفسي هواية التّوفر على دراسته دراسة تعمق وتفهم لإيماني أنّ الرّيادة -عادة- لا تأتي بأكثر من التّعرف على معالم الطّريق وبما أنّ الفلسفة الإسلامية قد تجاوزت على يد أعلامها من المتأخرين أمثال الفارابي وابن سينا والطوسي والشيرازي والداماد هذا الدّور إلى دور التّركز لاستقرار لم أجدني بحاجة بعد دراستها في تجارب هؤلاء إلى التّعرف على معالم طريقها على يد الكندي وأضرابه من المؤسسين اللّهم إلا حاجة المؤرخ للفلسفة للتعرف على ما تم من مراحلها على يديه وهي لا تحتاج في الدّراسة إلى تعميق.

وكان الفضل الأوّل في إيصالي بتاريخه ومحاولة التّعرف عليه تعرفاً كاملاً في واقعه إلى العلامة الأخ السّيد محمّد بحر العلوم الّذي تفضل فطلب إليّ أن أتحدث في صدر رسالته هذه بشيء عن الكندي تمهيداً للدخول في بحوثها القيمة ويبدو أنّه أراد لي أن أمثل للقراء دور الرّيادة لإيمانه بأنّ الرّائد لا يكذب أهله وأرجو أن أكون عند حسن ظنه بي.

ويعود الفضل بعد ذلك إلى اللّجنة العليا لاحتفالات بغداد والكندي حيث وجهت إليّ دعوتها للمشاركة في هذه الاحتفالات بتقديم رسالة أو بحث في هذا الموضوع.

أمّا الأخ بحر العلوم فقد وفر لي بجهده القيم أن أقرأ خلاصة وافية لعشرات من المصادر قديمة وحديثة تتصل اتصالاً مباشراً أو غير مباشر بالجانب التّأريخي لهذا الفيلسوف وهو الّذي تكفلت هذه الرّسالة تجلية واقعه.

ومنها تعرفت على آراء تتصل بعصره وبيئته وولادته ونشأته ووفاته وثقافته وعقيدته وقد جولتني هذه الرّسالة في آفاق معرفته فوقفت على سعتها وعمقها سواء ما يتصل منها بالفلسفة أم العلم كما جلته لي أديباً له جولات في الشّعر والنّقد وصناعة النّثر وقيمة هذه الرّسالة أنّها بحثت جذور ما عرضته من جوانب حياته وأوصلتها بمنابعها الأصلية على اختلاف ما ترتبط به من عوامل بيئية أو وراثية.

وقد حملتني دعوة لجنة الاحتفالات على الاتصال برسائله الفلسفية وما أثير حوله من حديث التماساً لجوانب من فلسفته ربما بعثت بي على وضع رسالة تجلو بعض مفاهيمها وتعمل على تقييمها في حدود ما أقوى عليه منها وكان ما وجدته فيها منبعاً لا يتطرق إليه النّضوب بسهولة ويسر وهو يتسع لعشرات الرّسائل والبحوث.

وإذا كان في طبيعة ظروفي ومشاغلي ما يأبى عليّ هذه المشاركة الفعلية في الاحتفالات بوضع رسالة ضافية فإنّ ما أرجوه وآمله أن أوفق الآن إلى شيء من الحديث عنه استجابة لطلب الأخ بحر العلوم.

(2)

لقد كنت أعرف -كما قلت في صدر هذا الحديث وكما تشير إليه رسالة الأخ بحر العلوم أنّ فيلسوفنا كان هو الرّائد الأوّل للفلسفة الإسلامية وإليه- ينسب وضع ركائزها العامة وكنت أعرف أيضاً أنّ طبيعة الرّيادة والتّأسيس لا تنطوي على كثير من العمق والأصالة لأنّ عمق التّجارب وأصالتها لا

يتوفران للشخص عادة إلا بعد مرورهما بأدوار التّلاقح والتّفاعل والاصطراع الفكري.

والمؤسس مهما كان دوره لا يقوى على وضع أكثر من لبنة أو لبنات في الأساس أمّا نهوض البناء وتكامله فإنّه لا يقع إلا على أكتاف البناة من المتأخرين بعد أن تتوفر لديهم من تجارب السّابقين ما تفيد في تكوين ذلك البناء وإشادته.

وحين عدت إلى رسائل الكندي وجدت له من التّجارب في المجالات الفلسفية على اختلافها ما ينأى به عن دور الرّيادة والتّأسيس إلى دور الإشادة والتّركيز وأهم ما لاحظته فيها استيفاءه لأصول البحث الفلسفي من حيث المنهج وسلامة العرض وعمق التّجارب.

فمن حيث المنهج رأيت أنّه لا يدخل في صميم بحوثه إلا بعد تحديد مصطلحاتها الفلسفية تحديداً يجمع بين الاطراد والانعكاس غالباً ورسالته في تحديد المصطلحات الفلسفية من أقدم ما ألف في موضوعها ولا أقل من عدم إطلاعنا على رسالة أقدم منها في هذا الموضوع ثمّ يعطي بعد ذلك رأيه في وسائل المعرفة وتحديدها وهذا الرّأي من أنضج ما اطلعت عليه من آراء فهو لا يؤمن بالوسيلة الواحدة للمعرفة مطلقاً ولعلّ منشأ ذلك إيمانه باختلاف منابع المعرفة المستلزمة لاختلاف وسائل إيصالها إلى الغير فما يكون منبعه الحس لا يوصل إليه إلا بطرق حسية وما يكون منبعه العقل لا تستخدم فيه غير الوسائل العقلية وهكذا يقول في رسالته وهو يحدد وسائل المعرفة في مجالاتها المختلفة «وكذلك لكلّ نظر تمييزي وجود خاص غير وجود الآخر ولذلك أيضاً ضل كثير من النّاظرين في الأشياء التّمييزية»[1] إلى أن يقول: «فينبغي أن نقصد بكلّ مطلوب ما يجب ولا نطلب في العلم الرّياضي إقناعاً ولا في العلم الإلهي حساً ولا تمثيلاً ولا في أوائل العلم الطّبيعي الجوامع الفكرية ولا في البلاغة برهاناً ولا في أوائل البرهان برهاناً»[2] وبهذا ندرك عمق نظرته في تنويع وسائل المعرفة لقصور كلّ وسيلة عن استيعاب جميع أنواعها لاختلاف مجالاتها ومنابعها فدعوات بعض غلاة العقليين والحسيين ونظرائهم ممن آمنوا بوحدة الوسائل لا تجد صداها في نفسه مادامت لا تحقق وظائفها من إيصال المعرفة في مختلف المجالات.

وبما أنّ الفلسفة الّتي عني بها أكثر من غيرها هي فلسفة ما وراء الطّبيعة ومنابعها عقلية خالصة لقصور الحس عن إدراك واقعها كان منهجه تبعاً لذلك عقلياً استنباطياً يعتمد الوسائل المنطقية من حيث البرهنة والاستدلال وربما استخدم الوسائل الرّياضية لذلك.

والظّاهر أنّ تأكيده على معرفة القواعد الرّياضية واعتبارها من ركائز الفلسفة لا تنبعث من شعوره بالاحتياج إليها من عالم البرهنة والاستدلال فحسب وإنّما مبعثها شعوره بمدى احتياج الفيلسوف لتصميم أفكاره وتنظيمها ورسم خطوطها مسبقاً ليسهل البلوغ من طريقها إلى إدراك حقائق الأشياء فالأفكار الّتي لا تعتمد التّصميم الهندسي ولا تنظم على أساسه لا يمكن أن ينهض على أكتافها بناء متكامل للعلم مطلقاً ومن هنا اعتبر الفيلسوف الّذي لا يحسن الرّياضيات راوياً للفلسفة لا فيلسوفاً بالمعنى الدّقيق لهذه الكلمة.

(3)

وتأتي بعد ذلك بحوثه فتجد فيها آثار ذلك النّهج في التّصميم والتّحديد والتّركيز كما تجد فيها الأصالة الفكرية الّتي تصحح نسبة هذه الأفكار إليه باعتباره فيلسوفاً له آراؤه في مقابل عمالقة الفكر العربي كأرسطو وأفلاطون وأفلوطين ولسنا نقصد بالأصالة هنا ابتداعه لجملة ما جاء به من آراء فهذه دعوى لم يدعها هو لنفسه حين أشاد بآثار سابقيه ومدى انتفاعه بتجاربهم وإنّما نقصد تمثله لهذه التّجارب على اختلافها تمثلاً فكرياً ينطوي على معاناة وتدبر ومن هنا لا نرى مجالاً لإنمائه إلى فيلسوف معين بتأثره تأثر التّلميذ الفج لأستاذه ويحاكيه في جملة ما يصدر عنه فهو يوافق أرسطو في بعض آرائه ويخالفه في البعض الآخر وهكذا بالنّسبة إلى بقية الفلاسفة وهو في هذه الموافقة أقرب إلى الالتقاء الفكري منه إلى التّأثر والتّقليد ومن هنا رأينا له من قوة الشّخصية وشدة الوثوق بنفسه ما يبعثه على الاعتراف بالجميل لسابقيه قال وهو يرد على بعض معاصريه ممن ينتقصون آثار السّابقين ويجردونها من أهم مزاياها الفكرية «ومن أوجب الحق أنّ لا نذم من كان أحد أسباب منافعنا الصّغار الهزلية فكيف بالّذين هم أكبر أسباب منافعنا العظام الحقيقية الجدية فإنّهم وإن قصروا عن بعض الحق فقد كانوا لنا أنسباء وشركاء فيما أفادونا من ثمار فكرهم الّتي صارت لنا سبلاً وآلات مؤدية إلى علم كثير مما قصروا عن نيل حقيقته[3]...» ثمّ يقول: «وينبغي أن لا نستحي من استحسان الحق واقتناء الحق من أين أتى وإن أتى من الأجناس القاصية عنا والأمم المباينة لنا فإنّه لا شيء أولى بطالب الحق من الحق وليس ينبغي بخس الحق ولا

(1) رسائل الكندي عليه السلام-/عليه السلام

(2) رسائل الكندي عليه السلام-/عليه السلام

(3) المصدر السّابق عليه السلام

تصغير بقائله ولا بالآتي به»[1] ومثل هذه الكلمة لا توجد عادة في غير أصحاء النّفوس من العلماء لأنّ الّذي يتجاهل تجارب الآخرين في آفاق معرفته لابدّ أن يكون في صحته النّفسية ما يحتاج معه إلى اتخاذ مثل هذا الموقف التّعويضي.

ومن هنا التزم بإحضار آراء سابقيه من الفلاسفة في جملة ما طرقه من مواضيع مع «تتميم ما لم يقولوا فيه قولاً تاماً على مجرى عادة اللّسان وسنة الزّمان» وربما اختلف معهم في الكثير من الخصوصيات.

وأظن أنّ التقاءه في نتائج أفكاره جملة ما جاء به الإسلام من حقائق المعرفة سواء ما يتصل منها بذات الواجب وصفاته أم بمفاهيم النّبوة وشؤونها من الوحي وغيره هو الّذي صحح نسبته إلى الفلسفة الإسلامية والحقّ أنّ لديه من عمق النّظرة ومتانة الاستدلال والتّركيز في الأداء ما لا تجده إلا عند القلة من أفذاذ الفلاسفة المتأخرين وكم كان بودي لو اتسع صدر المقدمة إلى الإتيان بنماذج من فلسفته مع التّأكيد على جوانب التّميز فيها تبريراً لما سبق أن أدعيته من أبعاده عن أدوار الرّيادة والتّأسيس إلى دور الإشادة والتّركيز.

(4)

وأظن أنّ الأخ بحر العلوم سوف يغنيني عن التماس هذه النّماذج بما توفر عليه في الجزء الثّاني لهذا الكتاب من إبراز أهم معالم فلسفته وربطها بجذورها التّأريخية مع التّأكيد على ما جد منها على يده ثمّ التّأكيد على دورها في التّاثير على تلامذته والمنتفعين بآثاره من الفلاسفة.

ولا يفوتني أخيراً أن أشكر للمؤلف ما وفره عليّ من متعة وأنا أتجول في حنايا بحوثه فاستجلي منها ما غمض عليّ من جوانب تأريخه بما أجراه من التّحقيقات الّتي صححت -فيما أتخيل- للكثير نظرتهم في هذا الفيلسوف الجليل وبخاصة فيما يتصل ببعض عناصر شخصيته وإنّ في الجلد والصّبر على البحث الّذي لمسته في هذه الرّسالة ما يبعثني على انتظار الكثير من المؤلف في مستقبل حياته إنْ شاء الله تعالى.

النّجف الأشرف
20 جمادى الأوّل 382
محمّد تقي الحكيم

***

(1) المصدر السّابق صلى الله عليه وآله وسلم

بسم الله الرّحمن الرّحيم

تمهيد

في السّنة المنتهية من حياتنا الدّراسية في كلية الفقه في النّجف الأشرف، ألزمنا أُستاذا الفلسفة الإلهية والحديثة بأن يضع كلّ منا رسالة فلسفية تقدر على ضوئها مقدرتنا العلمية، وتركا لنا حرية اختيار الموضوع الّذي نتناوله على أن لا نخرج عن إطار الفلسفة.

وبعد جولة في مختلف المواضيع الفلسفية، واستعراض جل الفلاسفة الإسلاميين وقع اختياري على فيلسوف المسلمين والعرب «أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي» فتوغلت في مسارب هذه الشّخصية العلمية، ولمست فيها جوانب ثرة حَرية بالتّقدير والإكبار.

وهزني أن يكون الكندي أوّل فيلسوف مسلم عربي قام بدور الوسيط بين المرحلتين الفكريتين الكلام والفلسفة.

وتجاوز اهتمامي بالرّجل حينما عرفت أنّه من الممكن اعتباره المؤسس للمدرسة الفلسفية الإسلامية، والرّائد الأوّل لها في عصر كانت الآراء الكلامية هي السّائدة بما في أكثرها من فوضى واضطراب.

وكان من ثمار هذه المدرسة جلّ عمالقة الفكر الإسلامي: كالفارابي، وابن سينا، وابن رشد، ونصير الدّين الطوسي، وصدر المتألهين الشيرازي وغيرهم، بناة المدرسة الفلسفية الّتي وضع لبنتها الأوّلى الإمام علي(عليه السلام)، بلمعه الفكرية العميقة، سواء في نهج البلاغة أن في غيره[2].

ووضعت الخطوط الأساسية لدراستي الفلسفية، متلمساً بعض آرائه في الوجود، والكون، والنّفس، والعقل، والمعرفة، ورأيتني مضطراً إلى خوض الجانب التّاريخي لارتباطه الأكيد بدراستها ولما تلقي لنا من الضّوء على تلك المناحي الفكرية.

وفعلاً كان ذلك.

فقد بدأت أدرس جانبه التّاريخي الشّائك، وتناولت بالبحث جميع المواضيع اللامعة الرّئيسية في حياة فيلسوفنا التّاريخية، والّتي لها مساس أصيل في تكوين شخصيته الفلسفية، وحين توسع لدي الموضوع رأيت من الخير أن أفرده في جزء مستقل يلم بجميع أطرافه، إتماماً للفائدة.

أمّا الجانب الفكري، الّذي سبق أن وضعت خطوطه الأساسية وكتبت بعض فصولها، فسيكون موضعه في الجزء الثّاني، وأملي أن يوفقني الله لإصداره قريباً.

(2) أعلام الفلسفة العربية: رحمهم الله

وحرصاً مني على استغلال مناسبة الذّكرى الألفية لفيلسوفنا الّتي ستقام ببغداد -في هذه الأيام- فقد قررت أن أقدم الجزء الأوّل للقراء مشاركة في تمجيد ذكرى أوّل مسلم عربي «مهد للفلسفة سبيل الانتشار بين العرب، وفي ظلّ الإسلام، وهو الّذي وجه الفلسفة الإسلامية في وجهتها فسارت في سبيلها على أيدي تلامذته، ومن أخذ عن تلامذته»[1].

وكلمتي الأخيرة في هذا التّمهيد... أبعثها لرجال العلم والفكر والأدب في عالمنا الإسلامي والعربي، وخاصة في عراقنا الحبيب.

أن يستغلوا أمثال هذه المناسبات لإحياء ذكرى عمالقة الفكر من أمثال الكندي، وتاريخنا غني بهم -والحمد لله- كالفارابي، والسّيد المرتضى والشّريف الرضي، والشّيخ الطوسي، والعلامة الحلي، وصدر المتألهين الشّيرازي، اعتزازاً منا بتراثهم الخالد، ومحاولة للانتفاع بهذا التّراث، ومن الله نستمد التّوفيق.

النّجف الأشرف

في 1382/5/1هـ

محمّد السّيد علي بحر العلوم

❖ ❖ ❖

أسرة الكندي

انحدر فيلسوف العرب من أسرة «كندة»، وهي أسرة عربية عريقة بالمجد والسّؤدد جمعت بين الملوكية والزّعامة، وينتهي نسبها إلى يعرب بن قحطان، وبلادها اليمن.

وكانت العرب تعد البيوت الشّامخة فتحصرها -بعد بيت هاشم بن عبد مناف- في ثلاثة بيوت، أو أربعة: بيت قيس، والدّارميين، وبيت شيبان، وبيت اليمن، أمّا «كندة» فكانت تعد من الملوك لتولي جماعة من زعمائها منصب الملوكية من قبل الإسلام.

ويذكر الألوسي قصة كان أبطالها من كندة حدثت في مجلس كسرى وهي تدل على مكانة هذه الأسرة إذ ذاك.

فقد جاء: أنّ كسرى سأل النّعمان: هل في العرب قبيلة تشرف على قبيلة؟

فقال له النّعمان: من كانت له ثلاثة آباء متوالية رؤساء، ثمّ أتصل بكمال الرّابع، والبيت من قبيلته فيه وتنسب إليه.

فطلب كسرى من النّعمان أن يحضر علية البيوت، وفي الموعد المحدد لهم غص المجلس بوجوه القوم، وطلب كسرى من كلّ قبيلة أن يتكلم منها رجل يعدد مآثرها وجميل فعالها، وليتحدث شاعرها فيصدق.

فإذا ما وصل الحديث إلى كندة قام الأشعث بن قيس، فقال: لقد علمت العرب أنا نقاتل عديدها الأكثر، وقديم زحفها الأكبر، وأنا غياث اللزبات[2].

فقالوا: لم يا أخا كندة؟

قال: لأنا ورثنا ملك كندة، فاستظللنا بأفيائه، وتقلدنا منكبه الأعظم، وتوسطنا بحبوحه الأكرم.

ثمّ وقف شاعرهم يجلجل في أرجاء المجلس فيقول:

إذا قست أبيات الرّجال ببيتنا

وجدت له فضلاً على من يفاخر

فمن قال كلا، أو أتانا بخطة

ينافرنا يوماً فنحن نخاطر

تعالوا فعدوا يعلم النّاس أينا

له الفضل فيما أورثته الأكابر

وتكلم غيره من رجال كندة، حتّى إذا انتهوا، وسمع كسرى ذلك منهم قال:

«ليس منهم إلا سيد يصلح لموضعه، فأسنى حباءهم»[3].

والقصة سواء كانت صحيحة أم موضوعة فإنّ دلالتها كافية على مكانة هذه القبيلة الّتي كانت ذات قابلية لأن يقال فيها هذا الكلام، ولا تستكثره العرب عليها، وليس المهم بعد ذلك أن نبحث عن مجالات الوضع فيها مادامت متوفرة الدّلالة على ما نريد.

بسطت هذه الأسرة زعامتها ونفوذها في الجاهلية: بحضرموت واليمامة، والبحرين، والمشفر[4] وامتد شيء من سطوتها وحكمها إلى الإسلام عندما دخلت مع من دخل فيه من الأسر والقبائل العربية، وكان أوّل من دخل الإسلام من هذه الأسرة هو الأشعث بن قيس الجد السّادس لفيلسوفنا، حيث سلسلوا نسبه على هذه الكيفية.

أبو يوسف، يعقوب بن إسحاق بن الصّباح بن عمران بن إسماعيل بن محمّد بن الأشعث بن قيس[5].

---

(1) فيلسوف العرب والمعلم الثّاني: عليه السلام.

(2) اللزبة: الشّدة.

(3) بلوغ الأرب: عليه السلام/عليه السلام

(4) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: عليه السلام/عليه السلام

(5) نفس المصدر: رضي الله عنه/عليه السلام

وقد وفد الأشعث على النّبي(ﷺ) في العام العاشر للهجرة، وأسلم، ثمّ ارتد بعد وفاة الرّسول، وعاد فأسلم في عهد الخليفة الأوّل وشهد قسماً من فتوح الإسلام: كاليرموك، والقادسية، والمدائن، وجلولاء، ونهاوند، وشارك فيها، ثمّ حضر صفين مع الإمام علي(عليه السلام)، وكان من المؤيدين للتحكيم[1].

ولم تقتصر المشاركة العامة في شؤون الحكم على الأشعث، بل امتدت إلى ولده محمّد بن الأشعث الجد الخامس لصاحبنا فقد كان قائداً لجيش مصعب بن الزّبير عند محاربة المختار بن أبي عبيدة الثّقفي.

وامتدت بعد ذلك المشاركة إلى عبد الرّحمن بن محمّد بن الأشعث حيث خرج الحجاج للقبض عليه فتمكن عبد الرّحمن من الانتحار وذلك عام 85هـ[2].

وهناك عديدون يذكرهم التّاريخ من كندة بين قضاة وولاة، فقد أكد ابن دريد[3] بأنّه وليّ القضاء من كندة بالكوفة أربعة.

أمّا بقية أجداده فقد لاذ التّاريخ عنهم بالصّمت، حتّى انتهى إلى إسحاق بن الصّباح فقد تولى الإمارة في الكوفة في أيام المهدي والرّشيد، وبولاية إسحاق عاد بيت الكندي إلى الظّهور في ميدان السّياسة والحكم.

هذه هي أسرة فيلسوفنا الكبير في أصح وأركز مصادرها.

وهناك مصدران يشكك أحدهما في نسب الكندي، والآخر في عقيدته، وربما كان أحدهما منشأ للآخر فلقد جزم الدكتور فيليب حتّي ورفيقاه[4] بأنّه لم يكن من كندة، وإنّما كان من مواليها.

أمّا ما يتعلق في عقيدته فمصدر قديم، وآخر حديث يذهبان إلى أنّه يهودي أو نصراني، فقد ذكر ظهر الدّين البيهقي[5] في ترجمته ما نصه: «واختلفوا في ملته: فقال قوم كان يهودياً، ثمّ أسلم، وقال بعضهم: كان نصرانياً، وتابعه في هذا الرّأي الشّهرزوري»[6].

والمصدر الحديث هو الأب لويس شيخو[7] فقد حاول أن يجعله نصرانياً[8].

أمّا بالنّسبة لرواية البيهقي والشهرزوري، فإنّ المصادر الرّئيسية التّاريخية تذكر نسب الكندي بشيء من الأطناب، ولم يرد فيها ما يشير إلى يهوديته أو نصرانيته، وأنّ مشاركة أجداده وآبائه في مدارج الحكم في الإسلام سواء كان منها العسكرية أو السّياسية تدل دلالة واضحة على اختلاق هذا الحديث من أساسه.

وقد يكون هناك كندي غير فيلسوفنا يتفق معه بالاسم، وبذلك حصل الالتباس[9].

على أنّ هذين الكتابين ليسا موضع اطمئنان عند بعض المحققين لكثرة ما فيهما من أغلاط يقول مصطفى عبد الرّزاق[10] «وفي كتابي البيهقي والشّهرزوري أخطاء تاريخية كثيرة ظاهرة البطلان عند الكلام على غير الكندي وفي النّسخ الّتي بين أيدينا منهما تحريفات كثيرة».

وبالنّسبة لحديث الأب شيخو فقد رد عليه انستاس كرملي يقول: «يظهر من هذا الكلام أنّ الأب لويس شيخو نقل كلامه هذا عن أبي الفرج، والحال إننا قابلنا هذا النّص بنص أبي الفرج المطبوع في الآباء اليسوعيين فوجدنا بينهما فرقاً».

ثمّ لا نفهم كيف يكون أبو يعقوب أميراً على الكوفة لو كان نصرانياً، وأهل الكوفة منذ صدر الإسلام كانوا متمسكين بدينهم الحنيف فكيف يقبلون عليهم أميراً نصرانياً.

مضافاً أنّ ابن العبري صرح بإسلامه بقوله: «لم يكن في الإسلام من اشتهر» فحذفها الأب وأبدلها بقوله: «لم يكن في العرب»، وأخيراً كان الكندي فيلسوفاً معتزلياً، ولم نجد أحداً

---

(1) أسد الغابة: رضي الله عنه/رضي الله عنها.

(2) فيلسوف العرب والمعلم الثّاني صلى الله عليه وآله- رضي الله عنهم.

(3) الاشتقاق: رحمه الله.

(4) تاريخ العرب «مطول»: رضي الله عنه/رضي الله عنها.

(5) تتمة صون الحكمة: رحمه الله.

(6) مقدمة رسائل الكندي: عليه السلام هامش رضي الله عنه.

(7) مجاني الأدب: رضي الله عنه/رحمه الله.

(8) علق الزّركلي في الأعلام: رضي الله عنه/صلى الله عليه وآله على محاولة الأب شيخو بأنّه حاول أن يجعله نصرانياً «على عادته في كثير من الجاهلين وبعض الإسلاميين».

(9) يوجد هناك ثلاثة يشاركون الكندي بهذا اللقب هم:
عليه السلام- عبد المسيح بن إسحاق الكندي توفي حوالي رضي الله عنه/صلى الله عليه وآله/سلم وكان نصرانياً ومن رجال بلاط المأمون، له «رسالة إلى عبد الله بن إسماعيل الهاشمي» طبعت.
عليه السلام- أبو عمر محمّد بن يوسف بن يعقوب الكندي المتوفى بعد سنة رضي الله عنه/رحمه الله مؤرخ من مؤلفاته كتاب الولاة والقضاة، طبع.
رضي الله عنه- كندي آخر عاش حوالي صلى الله عليه وآله/رضي الله عنه ذكره عبد يسوع في فهرست الكتاب السريانيين.
«مجلة المقتطف» محمّد المتولي: صلى الله عليه وآله- رضي الله عنه/رحمه الله والكندي: كوركيس عواد: رضي الله عنه.

(10) فيلسوف العرب: رحمه الله.

صرح بنصرانيته سوى حضرة الأب لويس شيخو اليسوعي الجزيل الحرمة[1].

والظّاهر أنّ المحققين من العلماء لم يعتنوا بهذه النّسبة، ولم يقيموا لها وزناً، قال خودا بخش[2] -المؤرخ الهندي-: «وكان البعض يذهب إلى أنّه من أصل يهودي، ولكن دي ساسي أثبت أصله العربي»، وقد حاول أبو ريدة[3] أن يجمع بين القولين بنسبته اليهودية إلى بعض أفراد قبيلته «كندة» في الجاهلية، ولكن هذا الجمع لا يثبت كيفية انحدار اليهودية إليه، مع أنّ جملة آبائه من المسلمين، بالإضافة إلى أنّه ليس عندنا من المصادر ما يشير إلى وجود يهودي في هذه الأسرة حتّى في الجاهلية.

أمّا ما يتعلق بنسبه، وأنّه من الموالي فلم يذكروا له مصدراً يصح الاعتماد عليه، وربما كان منشؤه ما ورد على لسان البيهقي من نسبته إلى المسيحية أو اليهودية باعتبار أنّ هاتين الملتين لم يكن في أفراد قبيلته كندة من ينتمي إليهما إذ ذاك، فلا بد أن يكون هذا الفيلسوف من غيرها، وانتماؤه إليها إنما كان من طريق الولاء، وإذا كان هذا هو مصدرهم في النّسبة فقد عرفت قيمته مع إجماع مؤرخيه من أمثال ابن النّديم، وصاعد الأندلسي، والقفطي، وابن أبي أصيبعة على انتسابه لهذه القبيلة بالأصل لا بالولاء.

على أنّ هذا الاستنتاج لا يستوجب جزماً بما انتهوا إليه وربما كانت لهم مصادر لم نطلع عليها، وكان عليهم ذكرها تبريراً لرأيهم الّذي خرج على إجماع ثقات المؤرخين.

والنّتيجة.. أنّه ليس عندنا من المصادر ما يرفض الأخذ بعروبته وانتسابه إلى قبيلة «كندة» كما أنّه ليس عندنا ما يثبت انتسابه إلى المسيحية أو اليهودية في وقت ما مع أنّ جميع آبائه من المسلمين.

ولادته ووفاته

يكاد يكون الحديث عن تحديد ولادة فيلسوفنا ووفاته عسيراً جداً، لأنّ المصادر المهمة، وهي القاعدة في بناء ترجمته يلوذ بعضها بالصّمت، ويكتفي بعضها الآخر بالإشارة العابرة إليها.

ويمكن تقسيم هذه المصادر إلى أقسام:

1- مصدر يشير إلى أنّ ولادته في منتصف القرن التّاسع الميلادي، ويشترك في هذا القول كلّ من الدّكتور فيليب حتّي ورفيقاه والبروفسور الفريد كيوم[4].

2- ومصدر يشير إلى أنّ ولادته في أوائل القرن التّاسع الميلادي -أواخر القرن الثّاني الهجري- وهو رأي الأستاذ «دي بور»[5]، ويرجح هذا الرّأي الأستاذ مصطفى عبد الرّازق بقوله: «تاريخ ميلاد الكندي غير معروف إلا ظناً، والرّاجح أنّ ميلاده كان في أواخر حياة أبيه الّذي توفي في زمن الرّشيد، والرّشيد توفي سنة 193هـ- 808م، فالغالب أنّ الكندي ولد في مطلع القرن التّاسع الميلادي حوالي 185هـ- 801م، كما رجحه دي بور»[6].

ويعقب الأستاذ أبو ريدة على هذا الرّأي بقوله: ولكن عظيم منزلته عند المأمون الّذي حكم من «198- 218هـ» ربما كان مبرراً تقديم ميلاده إلى ما قبل عام 185هـ لكي يتيسر له الوقت الكافي للنبوغ في الفلسفة[7].

3- ومصدر يحدد ولادته بعام 188هـ- 803م، ويشترك فيه كلّ من الأستاذ إسماعيل مظهر، والأستاذ الشّيخ محمّد الخليلي[8].

ويقرب منهما الأستاذ محمّد لطفي جمعة، فقد نقل عن العلامة ناجي الإيطالي[9] أنّ وفاته كانت عام 258هـ- 873م[10]، وثبت أنّه كان حياً يرزق عام 198هـ فكأنّه عمر نحو سبعين عاماً[11].

وإذا حاولنا أن نقف من هذه الأقوال موقف الفاحص نرى: أنّ الرّأي الأوّل الّذي يذهب إلى أنّ ولادته في منتصف القرن التّاسع لا يلتئم مع المصادر المشيرة إلى ولادته من طرق غير مباشرة كالمصادر التّاريخية الّتي تؤكد أنّ الكندي حظي بمركز مرموق في عهد المأمون وهو يبدأ من «198- 218هـ- 804- 823م» أي قبل ما حددوه لولادته بعدة سنين، والمصادر الّتي كادت تجمع على أنّ حياته لم تستمر إلى أكثر من عام 873م لأنّا إذا أخذنا بنظر الاعتبار القول بأنّ ولادته في منتصف القرن

(1) مجلة لغة العرب: ﷺ- ﷺ/س ﷺ

(2) الحضارة الإسلامية: ﷺ

(3) مقدمة رسائل الكندي: ﷺ

(4) تاريخ العرب «المطول»: ﷺ/ﷺ، تراث الإسلام: ﷺ/ﷺ

(5) تاريخ الفلسفة في الإسلام: ﷺ

(6) فيلسوف العرب: ﷺ، وكذلك يذهب حنا الفاخوري، وخليل الجرفي الفلسفة العربية ﷺ/ﷺ إلى هذا التّاريخ كما يعتقد ألدّوميلي بأنّه ولد نحو مطلع ذلك القرن «ﷺ» «العلم عند العرب: ﷺ».

(7) مقدمة رسائل الكندي: ﷺ، ويؤيد هذا الرّأي الدّكتور فارمر في «تاريخ الموسيقى العربية: ﷺ» بأنّه ولد عام ﷺ.

(8) سير ملهمة: ﷺ، ومعجم أدباء الأطباء: ﷺ/ﷺ

(9) أحد أساتذة الفلسفة بروما توفي في أواخر القرن التّاسع عشر، وكان ممن عنوا بتاريخ الفلسفة العربية، ونشر كتباً باللاتينية.

(10) إنّ عام ﷺهـ يقابله ﷺ، كما جاء في «التوفيقات الإلهامية: ص ﷺ».

(11) تاريخ فلاسفة الإسلام: ص ﷺ

التّاسع كان عمره عند وفاته على أبعد الحدود لا يتجاوز الثّلاثين، وهذا يتنافى مع القول بأنّه عمرّ حوالي السّبعين عاماً.

فالأقرب ما جاء في الرّأيين الثّاني والثّالث بعد التّقريب بينهما بحصر ولادته فيما بين سنة «801- 803م» لعدم منافاته لشيء مما جاء عن تلكم المصادر الّتي أشرنا إليها فيما سبق.

أمّا تحديد تاريخ وفاته على التّحقيق فالمشكلة فيها أكبر، إذ أنّ المصادر الّتي بين أيدينا تتضارب في ذلك، ويمكن أن تقسم الأقوال فيها إلى أربعة:

1- قول لويس ما سنيون بأنّ وفاته كانت عام «246هـ- 860م»[1].

2- قول بروكلمان: أنّه مات بعد عام 256 بقليل[2].

3- قول الأستاذ مصطفى عبد الرّازق: أنّ وفاته في أواخر عام 252هـ ويستدل على ذلك: بأنّ الجاحظ المتوفى 255هـ- 868م يذكر الكندي في كتابيه «الحيوان» و«البخلاء» في صيغة الماضي الدّالة على أنّ الكندي كان ميتاً حين كتب كتابيه، وكتاب «البخلاء» مؤلف على الرّاجح سنة 254هـ وكتاب «الحيوان» سابق عليه، فالكندي لم يكن حياً في سنة 254هـ ولا في سنة 253هـ إن صح أنّ الجاحظ كتب كتاب الحيوان في هذه السّنة.

ثمّ يقول: وتدل رسالة الكندي في ملك العرب وكميته[3] على أنّه شهد عهد الخليفة المستعين، وشهد الفتنة الّتي قتل في أعقابها المستعين آخر رمضان سنة 252هـ فالرّاجح أنّ الكندي توفي في أواخر سنة 252هـ[4] أي ما يقابل 866م.

4- وهناك قول ينص عل التّاريخ الهجري بـ 258 وهذا التّاريخ يقابل الميلادي سنة 871م[5].

(1) هامش ﷺ، ص ﷺ من تاريخ الفلسفة في الإسلام، وفيلسوف العرب: ﷺ، وكذلك جاء في «تذكرة النّوادر من المطبوعات العربية ص ﷺ ﷺ».

(2) أبو ريدة «مقدمة رسائل الكندي: ﷺ» نقلاً عن تاريخ التّأليف والمؤلفين عند العرب ﷺ/ ﷺ ﷺ طبعة ثانية «بالألمانية».

(3) نشرت هذه الرّسالة عام ﷺ ﷺ ضمن كتاب الأبحاث الشّرقية باعتناء فون لت في ص ﷺ ﷺ- ﷺ ﷺ في ليبسيك.

(4) فيلسوف العرب: ﷺ وهكذا يعتقد الأستاذ حنا الفاخوري والأستاذ خليل الجر في الفلسفة العربية: ﷺ/ ﷺ.

(5) الأستاذ محمّد الخليلي في «معجم أدباء الأطباء: ﷺ/ ﷺ»، والدّكتور ذبيح الله صفا في «تاريخ علوم عقلي در تمدن إسلامي: ﷺ/ ﷺ».

وذكر «دي بور»[6]: أنّ الرّاجح الّذي يستفاد من إحدى رسائل الكندي في علم أحكام النّجوم أنّه كان لا يزال على قيد الحياة بعد عام 870 ميلادية.

5- ولقد ذكر غير واحد بأنّ وفاته كانت سنة 873م، وإن اختلف في التّاريخ الهجري المقابل له[7].

6- وهناك رأي إلى الفيكنت فيليب دي طرازي بأنّه توفي عام 861م[8].

هذه هي الأقوال في وفاة فيلسوفنا، وإذا لاحظناها بدقة نرى:

أوّلاً- أنّ قول ماسنيون لا يلتئم:

أ- مع ما ذكره الطّبري[9] في حوادث عام 248هـ حين تكلم عن خلافة أحمد بن المعتصم وذلك بعد أن مات المنتصر بالله سنة 248هـ واجتمعت الآراء على أخذ البيعة لأحمد بن المعتصم، فعمل محمّد بن موسى المنجم على عدم إسناد الخلافة لأحمد ذلك لأنّه صاحب الكندي الفيلسوف، والكندي عدو لدود لمحمّد وأحمد ابني المنجم، ومن هذا ربما يبدو أنّ الكندي كان حياً يرزق في هذا التّاريخ لهذا خاف محمّد وأخوه شر الكندي إذا بويع صديقه.

ب- كما لا يلتئم مع ما ذكره ابن النّديم من أنّه رأى بخط فيلسوفنا كتاباً في ملل الهند نسخته الأصلية من عام 249هـ[10].

ج- وقد ذكر الكندي نفسه في رسالته «في مدة ملك العرب وكميته» الفتنة الّتي قتل فيها الخليفة المستعين عام 252هـ[11].

ثانياً- قول بروكلمان ومن يؤيده يعوزه ذكر الدّليل.

(6) تاريخ الفلسفة في الإسلام: ﷺ ﷺ ويقرب منه قول عبد الرّحمن بدوي في «التّراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ﷺ- ﷺ» أنّه توفي بعد سنة ﷺ ﷺ- ﷺ ﷺ.

(7) ذهب لهذا الرّأي: إسماعيل مظهر في «سير ملهمة: ﷺ» ومحمّد لطفي جمعة في «تاريخ فلاسفة الإسلام: ﷺ» نقلاً عن ناجي الإيطالي والدوميلي في «العلم عند العرب: ﷺ» والدّكتور فارمر في «تاريخ الموسيقى العربية: ﷺ» بأنّه توفي حوالي عام ﷺ، ونللينو في كتاب تاريخ الفلك عند العرب «تاريخ الفلسفة في الإسلام: ﷺ» ودائرة المعارف البريطانية ﷺ/ مجلد ﷺ، والزّركلي في الأعلام: ﷺ/ ﷺ.

(8) خزائن الكتب العربية: ﷺ.

(9) تاريخ الطّبري: ﷺ/ ﷺ.

(10) الفهرست: ﷺ.

(11) فيلسوف العرب: ﷺ، ومقدمة رسائل الكندي: ﷺ.

ثالثاً- إنّ الرّأيين الرّابع والخامس، وهو يكاد يكون رأي الأغلبية وخاصة الخامس والّذي ينص على أنّ وفاته كانت عام 873م، وهذا الرّأي يشترك فيه المحدثون، إلا أنّهم جميعاً لم يذكروا الدّليل على هذا الاختيار، مضافاً إلى أنّ اضطرابهم في التّاريخ الهجري مما يوقفنا عن قبوله.

رابعاً- رأى مصطفى عبد الرّازق، وهو لا يخلو من وجاهة بحكم ما استند عليه من أدلة تكاد تكون ذات أصالة لو صح أنّ الكندي الّذي جاء في كتاب الجاحظ هو صاحبنا لا كندي آخر كما شكك فيه، وسيأتي الحديث عنه.

وعلى هذا فالرّأي الّذي يمكن أن نطمئن إليه هو رأي مصطفى عبد الرّازق.

خامساً- أمّا قول طرازي فلم يقل به أحد وقد انفرد به، ولعله جاء من خطأ المطبعة فقد يكون قاصداً 871م، وإلا فما هو مستنده لهذا القول.

ثمّ إننا أمام مشكلة أخرى هي: أين ولد؟ فقال بعضهم: بالكوفة[1]، وقال آخر: بالبصرة[2]، وانفرد قول أنّه بواسط[3]، ولكن الّذي يُطمأن إليه هو أنّه ولد بالكوفة، اعتماداً على دي بور ومتابعة الأستاذ مصطفى عبد الرّازق لتثبتهما.

نشأته وثقافته

يكاد يجمع المؤرخون على أنّ فيلسوفنا في دوره الأوّل نشأ بالكوفة، ثمّ انتقل إلى بغداد فأكمل علومه فيها، وهناك من يؤكد على أنّ نشأته الأولى كانت في البصرة، ثمّ انتقل إلى بغداد، وهذا ما انفرد به ابن جلجل -المؤرخ المعروف- إذ يقول: «ابن الصّباح الكندي، شريف الأصل، بصري كان جدّه ولي الولايات لبني هاشم، وترك البصرة وضيعته هناك، وانتقل إلى بغداد»[4].

ولعل كلمة البصرة جاءته من سبق القلم وإلا فإنّ عامة المؤرخين يقولون أنّه كوفي، وليس ببصري، وأنّ الّذي ولى الولايات هو والده فقد تولى إمارة الكوفة مدة أيّام المهدي والرّشيد، أمّا عن جدّه فيحجم التّاريخ عن إعطاء معلومات عنه.

(1) دي بور «تاريخ الفلسفة في الإسلام: ﷺ»، والأستاذ مصطفى عبد الرّازق في «فيلسوف العرب: ﷺ»، والفريد كيوم في «تراث الإسلام: ﷺ/ﷺ»، ونجيب فرنجية «الموسوعة العربية: ﷺ».

(2) الدوميلي في «العلم عند العرب: ﷺ»، والدّكتور فارمر في «تاريخ الموسيقى العربية: ﷺ»، وغيرهما.

(3) رضا كحالة في معجم المؤلفين: ﷺ/ﷺ.

(4) طبقات الأطباء والحكماء: ﷺ.

والكوفة والبصرة كانت من حواضر العلم، ومسارب الثّقافة، ازدهرتا خاصة في عهد العبّاسيين بحياة فكرية قوية سواء في ناحية الأدب واللغة، أو ما يتصل بمشكلاتهما من علوم ودراسات.

وعلى أي احتمال نشأ الكندي في الكوفة أو البصرة، فقد انطلق في آفاق المعرفة يعب منها ما وسعته قابلياته وملكاته، ولقد توفي أبوه وهو صبي لم يتجاوز عمره عدد الأصابع فتولت أمّه تربيته ونشأته وكونت له فيما يبدو بيئة خاصة بحب العلم وتعشقه فتأثر بها هذا الصّبي واتجه مبكراً إلى المعرفة ونبغ فيها ثمّ بدأ اسمه يلمع بين العلماء كشخصية علمية لها وزنها وقيمتها فجلب أنظار المجتمع البغدادي الّذي كان يتطلع إلى العلماء والمثقفين بعد أن سرت في أرجائه روح العلم والعمل الفكري.

وكانت لفتة بارعة من فيلسوفنا أن يطعم معلوماته العلمية بتراث الماضين الأجانب أولئك الّذين خلفوا ثروة علمية هائلة سواء منهم من اليونان أو الهند أو فارس، أو السّريان، وفعلاً أضاف إلى لغته الأصلية لغات أجنبية متنوعة أكسبته قدرة وقابلية عالية، كان لها الأثر في بلورة حياته الفكرية.

وتعددت جوانب المعرفة في شخصية فيلسوفنا حتّى اشتهر في «التّبحر في فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية»[5]، وكثيراً من السّريانية، ونستطيع أن نجزم أنّه بهذه القدرة الفكرية الّتي حصل عليها من اللغات الأجنبية قد أحاط نفسه بهالة من المنزلة العلمية الرّفيعة الّتي كانت مصدراً لبزوغ نجمه في سماء الفكر.

وكان المأمون العبّاسي قد شجع الحياة الفكرية إلى أبعد حدود التّشجيع، فقد بلغت الحركة العلمية قمتها في بغداد على عهده وكانت تستمد جذورها ومنابعها من العلوم الأجنبية الّتي عمل المأمون على جلبها من سائر البلدان والأقطار، وقد أغدقت في سبيلها الأموال الطّائلة فكان لها أثرها في بلورة العقلية الإسلامية فيما بعد.

ومن أجل هذا كان المأمون يعمل على اختيار العلماء والمفكرين والمترجمين، ويسند إليهم المقاعد العلمية في رواقه الّذي كان أشبه بجامعة علمية تضخ بشتى الفنون.

وسمع المأمون بفيلسوفنا، وتعرف على حقيقته فبادر إلى ضمه لرواقه العلمي ليستفاد من مواهبه العالية، وقابلياته الفلسفية، وعلى مدى الأيّام كان المأمون يزداد فيه إعجاباً وإكباراً، نظراً لما لمسه فيه من طاقة فكرية كبيرة في شتى

(5) أخبار الحكماء: ﷺ.

ميادين المعرفة، الأمر الّذي دعا أن يوليه أكبر مركز للترجمة وعين له مساعدين وتلاميذ كانوا يقومون بالتّرجمة عن إشرافه، ثمّ يهذب ما يترجمه غيره[1].

عقيدته

رمي الكندي بالزّندقة والإلحاد -كما رمي غيره من الفلاسفة- واتهم بمروقه عن الدّين وليس من السّهل أن نتقبل هذه التّهمة ونساعد على إلصاقها به في حين أنّ الأدلة متوفرة لدينا على خلافها غير أننا الآن نتحرى مبعث هذه التّهمة والّتي ألصقها به بعض رجال الدّين، وعواملها الرّئيسية.

وأوّل هذه العوامل اشتهاره بالفلسفة، والفلسفة في رأي الكثير من النّاس أنّها تبتنى على الإلحاد أو التّشكيك، وربما كان لبعض الآراء الصّريحة الّتي تصطدم بظاهرها مع قسم من مسبقات العامة عن الدّين، والّتي يجاهر بها الكثير من الفلاسفة أثر في ذلك، على أنّ بعض الفلاسفة الّذين أسرفوا بنزعتهم العقلية كانوا ملاحدة فعلاً.

وثانيها- تبنيه لآراء المعتزلة وهم فئة من الكلاميين تركوا مجالاً للعقل في تفسير ظواهر الكتاب والسّنة فيما يتصل بعوالم التّوحيد والعدل، وحرية الإرادة وغيرها، وهي آراء ما كان يستسيغها النّصوصيون من رجال الدّين، كما كانت السّلطة في وقت ما لا تستسيغها أيضاً، وما أيسر أن يرمى من يخالف السّلطة بالمروق عن الدّين، والخروج على أولياته.

وثالثهما- ما نسب إليه من محاولة جعل علاقة نسب بين يونان وقحطان، مما عرضه لغضب قسم من الرّأي العام العربي الّذي كان متطرفاً في عنصريته، وبتفضيلها على جميع الأمم بما فيها يونان، فكيف يرضى هؤلاء أن تلتقي دماؤهم بدماء أمّة يراها البعض أنّها مستعمرة له، وقد تعرض من أجل ذلك لهجاء شاعرهم النّاشئ[2]، وأوّل ما يهجى به الفيلسوف هو الإلحاد، يقول المسعودي[3]: «وقد كان يعقوب بن إسحاق الكندي يذهب في نسب يونان إل ما ذكرنا من أنّه أخ قحطان، ويحتج لذلك بأخبار يذكرها في بدء الأنساب، ويوردها من حديث الآحاد والأفراد، لا من حديث الاستفاضة والكثرة».

وقد رد عليه الشّاعر أبو العبّاس النّاشئ في قصيدة له طويلة وذكر خلطه نسب يونان بقحطان فقال:

أبا يوسف، إنّي نظرت فلم أجد
على الفحص رأياً صح منك ولا عقدا
وصرت حكيماً عند قوم إذا امرؤ..
بلاهم جميعاً لم يجد عندهم عندا
أتقرن إلحاداً بدين محمّد؟
لقد جئت شيئاً يا أخا كندة إدا
وتخلط يوناناً بقحطان صلة
لعمري لقد باعدت بينهما جدا

وهذه المحاولة لا نعلم لها مصدراً غير المسعودي، وقد شكك فيها الدّكتور الأهواني[4] وهو يتحدث عن براءته بقوله: «ونحن نرى أنّ الكندي بريء من التّهمتين جميعاً: تهمة الانتساب إلى اليونان، وتهمة الإلحاد، وإنما شاع ما شاع عنه بدافع إغراء الحساد والمنافسين».

وأكبر الظّن أنّ المعاصرين له أضافوا إليه القول بالانتساب إلى يونان لما رأوه من انصرافه إلى البحث في الفلسفة اليونانية، ونقل آراء الفلاسفة وكتبهم إلى العربية، مع تحبيذ هذه الآراء والدّفاع عنها، وهذا التّشكيك لا ينطوي على حجة، والأنسب أن يقال أنّ هذه النّسبة إليه لو صحت لما انفرد بنقلها مصدر واحد لغرابة ما جاء فيها من رأي، وربما نسبت إليه لغلوه باحترام اليونانيين ومغالاته في علومهم تهكماً وسخرية فكأنّهم يقولون: إنّ هذا النّوع من الغلو لا يكون إلا مع تأكد أواصر الرّحم بينك وبينهم، ثمّ أخذها بعض العامة وحملوها محمل الجد.

أضف إلى ذلك أنّ الكندي كان ينافسه الكثير على الحظوة الّتي حصل عليها لدى الخلفاء العبّاسيين، مما دعا أن يعملوا غير مرة على إسقاطه من مركزه.

من هذا كلّه اندلعت ألسنة بعض رجال الدّين عليه، يرمونه بهذه الشّبهة الإلحادية ونظائرها.

وكرد فعل لهذه النّسبة، وهذا اللون من الحديث ثار على هؤلاء بأسلوب عنيف، ومن أقواله في ذلك:

فحسن بنا -إذا كنا حراصاً على تتميم نوعنا إذ الحق في ذلك- أن نلزم في كتابنا هذا عاداتنا في جميع موضوعاتنا من إحضار ما قال القدماء في ذلك قولاً تاماً على أقصر سبله، وأسهلها سلوكاً على أبناء هذا السّبيل، وتتميم ما لم يقولوا فيه قولاً تاماً، على مجرى عادة اللسان وسنة الزّمان، وبقدر طاقتنا مع العلة العارضة لنا في ذلك من الانحصار عن الاتساع في القول المحلل لعقد العويص الملتبسة، توقياً سوء تأويل كثير من المتسممين بالنّظر في دهرنا من أهل الغربة عن الحق، وأن

(1) تاريخ الفلسفة في الإسلام: ص.

(2) أبو العبّاس: عبد الله بن محمّد النّاشئ الأكبر الأنباري: شاعر مجيد، يعد في طبقة ابن الرّومي والبحتري، أصله من الأنبار، وأقام ببغداد مدة طويلة، وخرج إلى مصر فسكنها إلى أن توفي سنة هـ.

(3) مروج الذّهب: /-.

(4) مجلة الرّسالة: /-.

تتوجوا بتيجان الحق من غير استحقاق لضيق فطنهم عن أساليب الحق، وقلة معرفتهم بما يستحق ذوو الجلالة في الرّأي والاجتهاد، ولدرانة الحسد المتمكن من أنفسهم البهيمية، والحاجب بسدف سجوفه أبصار فكرهم عن نور الحق، ووضعهم ذوي الفضائل الإنسانية الّتي قصروا عن نيلها، وكانوا منها في الأطراف الشّاسعة بموضع الأعداء الجربة الواترة ذباً عن كراسيهم المزورة الّتي نصبوها عن غير استحقاق، بل للترؤس، والتّجارة بالدّين، وهم عدماء الدّين، لأنّ من تاجر بشيء باعه، ومن باع شيئاً لم يكن له، فمن تاجر بالدّين لم يكن له دين، ويحق أن يتعرى من الدّين من عاند قنية علم الأشياء بحقائقها، وسماها كفراً[1].

ولعل في هذه الفقرة ما يشير إلى أبرز الخطوط في هذه العوامل الّتي أشرنا إليها.

وبعد هذا فنحن نود أن نقف على حقيقة عقيدة الكندي، وأهم مصدر بين أيدينا هي رسائله الفلسفية، ومن ثناياها نرى ما يدل منها على تمسك صادق، واعتراف ظاهر بالإسلام والنّبوة.

فهو في الرّسالة الأولى يقول: لأنّ في علم الأشياء بحقائقها علم الرّبوبية، وعلم الوحدانية، وعلم الفضيلة، وجملة علم كلّ نافع، والسّبيل إليه، والبعد عن كلّ ضار، والاحتراس منه، واقتناء هذه جميعاً هو الّذي أتت به الرّسل الصّادقة عن الله جل ثناؤه.

فإنّ الرّسل الصّادقة صلوات الله عليها إنما أتت بالإقرار بربوبية الله وحده، وبلزوم الفضائل المرتضاة عنده وترك الرّذائل المضادة للفضائل في ذواتها وإيثارها[2].

وقطعة أخرى تقرؤها في رسالته الإبانة عن سجود الجرم الأقصى وطاعته لله عز وجل ونستطيع أن نلمس منها مدى إيمانه بالرّسالة المحمّدية، وتمسكه بها.. يقول:

ولعمري أنّ قول الصّادق محمّد صلوات الله عليه، وما أدى عن الله جل وعز لموجود جميعاً بالمقاييس العقلية الّتي لا يدفعها إلا من حرم صورة العقل، واتحد بصورة الجهل من جميع النّاس.

فأمّا من آمن برسالة محمّد(ﷺ) وصدقه، ثمّ جحد ما أتى به وأنكر ما تأول ذوو الدّين والألباب ممن أخذ عنه صلوات الله عليه فظاهر الضّعف في تمييزه، إذ يبطل ما يثبته، وهو لا يشعر بما أتى من ذلك، أو يكون ممن جهل العلة الّتي أتى بها الرّسول صلوات الله عليه، ولم يعرف اشتباه الأسماء فيها والتّصريف والاشتقاقات اللواتي، وإن كانت كثيرة في اللغة العربية، فإنّها عامة لكلّ لغة[3].

ومن هذه الفقرات نستطيع أن نحكم بأنّ الرّجل مسلم موحد مؤمن بنبوة محمّد(ﷺ) يدافع عنها، ويهاجم بعنف أولئك الّذين يجحدون الرّسالة، ويخالفون الدّعوة، ويتاجرون باسم الدّين.

مضافاً إلى ذلك فقد ذكر ابن النّديم[4] أنّه شارك في الرّد على المانوية والثّنوية، ووضع رسالة في «تثبيت الرّسل(عليهم السلام)» وأخرى «رسالة في التّوحيد» وثالثة «رسالة في افتراق الملل في التّوحيد وأنّهم مجمعون على التّوحيد».

وهذا كلّه يدل دلالة واضحة على أنّ شبهة الإلحاد ونسبتها إليه لا تخلو من عوامل خارجية تضافرت على الطّعن بشخصيته الدّينية، والحط من إسلامه، وإثارة الحديث حوله.

وبعد أن تأكد لدينا أنّه محافظ على طابعه الإسلامي، وأنّه كفيلسوف حاول أن لا يخرج على الحدود الدّينية الّتي رسمتها له عقيدته فإنّ علينا أن نتعرض لمنحاه الاعتزالي، فلقد ربطه أكثر من واحد من الكتاب والمؤرخين بالمعتزلة ربطاً يكاد يكون وثيقاً، ولنتلمس مدى صحة هذا الإدعاء.

فالأستاذ حنا الفاخوري وزميله[5] يقولان: «وقد نزع الكندي -على كلّ حال- نزعة معتزلية تعتمد العقل، وتلجأ التّأويل في تفسير الآيات القرآنية».

والأستاذ أبو ريدة[6] يرى: «أنّ تفكيره يتحرك في التّيار المعتزلي الكبير في عصره».

وذكر الأستاذ إسماعيل مظهر[7] بأنّ الكندي: «جنح إلى مذهب الاعتزال، فلما تحول الفكر، وظهر العداء للمعتزلين صودرت خزانة كتبه، وأصبح قاب قوسين، أو أدنى من الموت اغتيالاً، غير أنّ العاصفة مرت به فلم تحصده مع من حصدت من أهل الاعتزال».

وكذلك أكد هذا الرّأي كلّ من الدّكتور فارمر[8] والدّوميلي[9] والّذي يظهر أنّ المصادر الحديثة تكاد تطبق على هذا الاعتقاد، ونحن على ضوء هذه الأقوال نبحث مدى صحة هذه الدّعوى، ومقدار الصّلة الّتي تربطه بهذا المذهب.

---

(1) رسائل الكندي: عليه السلام/ رضي الله عنه- رحمه الله عليه السلام

(2) نفس المصدر: عليه السلام/ رضي الله عنه عليه السلام

(3) رسائل الكندي: عليه السلام/ رضي الله عنه- رحمه الله عليه السلام

(4) الفهرست: عليه السلام رضي الله عنه- رحمه الله رضي الله عنه

(5) تاريخ الفلسفة العربية: عليه السلام/ رضي الله عنه

(6) مقدمة رسائل الكندي: عليه السلام رضي الله عنه

(7) سير ملهمة: عليه السلام رضي الله عنه

(8) تاريخ الموسيقى العربية: عليه السلام رضي الله عنه- عليه السلام رحمه الله عليه السلام

(9) العلم عند العرب: عليه السلام رضي الله عنه عليه السلام

دخلت الفلسفة اليونانية في العصر الإسلامي الأوّل الّذي أعقب عهد الخلفاء، وأخذت مفعولها من أفكار المسلمين، وأوجبت تشكيكهم في كثير من العقائد، وطرحت بعض المسائل الّتي تعد من صميم الفلسفة اليونانية، وكانت هذه التّرجمة للفلسفة اليونانية، وشيوع البحوث الفلسفية هي البذرة الأولى لنشأة علم الكلام.

كما أنّ هناك أسباباً أخرى -نابعة من طبيعة الإسلام نفسه، والمسلمين أنفسهم- حصرت في ثلاثة:

أوّلاً- القرآن: وهو أهمها فقد سلك القرآن مسلكاً للرد على الفرق الّتي تخالف الإسلام بمختلف الدّلائل، وتعرض للشرك كما تعرض لمسائل التّكليف والجبر والاختيار، فنهج الملة على هذا المنوال في الرّد على المخالفين.

ثانياً- عقلية المسلمين وتفلسفها في الدّين، وإثارة الخلافات، فقد كاد ينقضي العصر الإسلامي الأوّل في إيمان لا يعتوره كثير من الجدل، فلما هدأ النّاس أخذوا ينظرون ويبحثون ويتوسعون في النّظر والبحث.

مثلاً: رأوا في القرآن آيات لها دلالة في الظّاهر على الجبر والتّكليف بما لا يطاق، وآيات دالة على الاختيار فتعمقوا في التّوفيق بينها، وأدى ذلك إلى اختلاف طويل، وجدال عميق.

ثالثاً- المسائل السّياسية الّتي اصطبغت بالدّين، وأكبرها موضوع الخلافة، وانتهاء الموضوع إلى أحزاب متعددة وساقهم هذا الخلاف السّياسي الّذي اصطبغ بالدّين إلى الخلاف في تعريف الإيمان، والكفر والكبائر والصّغائر وغيرها[1].

ومن هذا يفهم أنّ علم الكلام نشأ للدفاع عن العقيدة على أساس فلسفي غير ناضج، ثمّ تبلورت هذه الأبحاث الفلسفية على يد فلاسفة الإسلام أمثال الكندي، والفارابي وغيرهما.

ومن الحق أن نفهم طبيعة الاعتزال، وأصوله العامة تمهيداً لمعرفة مدى علاقة فيلسوفنا بالمعتزلة ومشاركته في تنقيح أصولها.

ويوضح لنا شيخ من شيوخ الاعتزال، وهو الخياط المعتزلي أصول هذه الفرقة فيقول: «وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتّى يجمع القول بالأصول الخمسة: التّوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، فإذا كملت في الإنسان هذه الخصال الخمس فهو معتزلي»[2].

إذاً فأصول المعتزلة خمسة:

1- التّوحيد.. وهذا المبدأ من أهم مبادئهم، وقد بلغوا في تحليله وفلسفته حداً عميقاً.

2- العدل.. وهو يشارك التّوحيد في أهميته.

3- الوعد والوعيد.. ويعنون به أنّ الثّواب على الطّاعات والعقاب على المعاصي قانون حتمي التزم الله به.

4- المنزلة بين المنزلتين.. وهذا الأصل ينتهي إلى أنّ الفسق منزلة بين المنزلتين: لا كفر، ولا إيمان.

5- الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر.. فهم يرون أنّ هذا الأصل واجب ويختلفون في تحقيقه[3].

هذه هي الأصول الأساسية للمعتزلة.

وهناك كثير من المسائل الّتي انفردوا بها، وأصبحت ذات طابع خاص بهم.. كمسألة «حالة الجسم في أوّل إبداعه هل هو ساكن أو متحرك» ومسألة «الاستطاعة والزّمان» ومسألة «تناهي الأشياء وضرورة إثبات هذا التّناهي» ومسألة «أنّ المحدثات -العالم، أو الحركة، أو الزّمان- لها نهاية كما لها بداية» وكثير من هذه المسائل المشكلة الّتي أخذت طابعاً خاصاً يتميز به المعتزلة عن غيرهم من الفرق.

وإذا التمسنا هذا الطّابع في آثار فيلسوفنا وجدنا في ثبت مؤلفاته ما يشارك فيه المعتزلة في معالجة كثير من هذه الأصول، وبعضاً من تلكم المسائل المتفرقة الّتي تحمل طابع الاعتزال.

فلقد ذكر له صاعد الأندلسي[4] كتاباً أسماه «التّوحيد» المعروف بفم الذّهب..

كما ذكر له ابن النّديم[5] كتاباً أسماه «أفعال الباري جل اسمه كلّها عدل لا جور فيها».

وهذان الكتابان يمثلان أصلين من أصول المعتزلة شارك فيها مترجمنا هذه الطّائفة، وهذه الكتب وإن لم تصل إلينا، ولعلها فقدت مع غيرها من مؤلفات فيلسوفنا، إلا أنّ رسائله الّتي بين أيدينا تؤيد صلته بالمذهب وتبنيه للفكرة.

هذا بالإضافة إلى أنّه عالج كثيراً من المسائل الّتي كانت مدار بحث المعتزلة وقتذاك، وفي مقدمتها موقفه من النّبوة موقف المدافع المحامي، وهذا التّبني والموقف الجريء دفع بالقائلين بربط الكندي بالمعتزلة، وشده إلى أفكارهم الشّائعة شداً محكماً.

(1) ضحى الإسلام: ﷺ/ﷺ- ﷺ.

(2) الانتصار: ﷺ ﷺ ﷺ- ﷺ ﷺ ﷺ.

(3) ضحى الإسلام: ﷺ/ﷺ.

(4) طبقات الأمم: ﷺ ﷺ.

(5) الفهرست: ﷺ ﷺ ﷺ.

والظّاهر أنّه كان معتزلياً أوّلاً ثمّ نحى في منهجه نحو الفلسفة أخيراً، وهناك احتمال يقول بأنّه كان شيعي المذهب، أورده السّيد ابن طاووس[1] -وهو يتحدث عن منجمي الشّيعة- يقول: «وممن اشتهر بعلم النّجوم، وقيل: أنّه من علماء الشّيعة الشّيخ الفاضل إسحاق بن يعقوب الكندي[2]، وصل إلينا من تصانيفه رسالته في علم النّجوم خمسة أجزاء».

وقد استند المؤرخ المشهور الشّيخ آغا بزرك إليه في عده من جملة مؤلفي الشّيعة، فقد ذكر قسماً من مؤلفاته في كتابه «الذّريعة إلى تصانيف الشّيعة»[3].

وربما قرب هذا الاحتمال ما كان يختم به كلّ رسالة من الصّلاة على محمّد وآله الطّاهرين «أو أجمعين»، وهي من التّعابير السّائدة على ألسنة الشّيعة أكثر من غيرهم، حتّى كادت تكون طابعاً لهم.

ولعل ما ذكره ابن خلدون، في مقدمته، يدل على تبنيه لبعض أفكار الشّيعة، ذلك أنّه قال: «وقد وضع -الكندي- في القرانات الكائنة في الملة كتاباً سماه الشّيعة «بالجفر» باسم كتابهم المنسوب إلى جعفر الصّادق»[4].

ويقول في حديثه عن فكرة المهدوية: «وذكر الكندي أنّ هذا الولي -يعني المهدي- هو الّذي يصلي بالنّاس صلاة الظّهر، ويجدد الإسلام، ويظهر العدل، ويفتح جزيرة الأندلس، ويصل إلى رومية فيفتحها، ويسير إلى المشرق فيفتحه، ويفتح القسطنطينية، ويصير له ملك الأرض، فيقوى المسلمون ويعلو الإسلام ويظهر دين الحنفية»[5].

هذا على أنّ فكرة المهدوية -كما هو الملاحظ من تاريخها العام- لم تكن من مختصات الشّيعة دون غيرهم من الفرق الإسلامية، وإن كانت في العهد الأخير من السّمات البارزة لعقيدتهم.

وعلى أي حال فربما كان الكندي شيعياً قد اتخذ من الاعتزال -وهو يلتقي مع التّشيع في كثير من أفكاره الكلامية- ستاراً يتستر به عن أعين العبّاسيين قابضي زمام السّلطة الّتي كانت تناوئ التّشيع وتحاربه بكلّ ما تملك من سلاح.

(1) فرج المهموم: ﷺ.

(2) ورد الاسم هكذا، والظّاهر أنّه اشتباه، والصّحيح يعقوب بن إسحاق الكندي.

(3) ص ﷺ/ﷺ، و ﷺ/ﷺ.

(4) تاريخ ابن خلدون «المقدمة»: ﷺ/ﷺ.

(5) نفس المصدر: ﷺ/ﷺ، وقد علق على هذه الفقرة عبد الله عنان في «مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام: ﷺ» بقوله: وهو ما ندهش لصدوره -مثل هذا- من فيلسوف حر التّفكير.

علاقته بالخلفاء العبّاسيين

لم تكن علاقة العبّاسيين بالكندي وليدة أيّامه واتصاله فحسب بل كانت أسبق من ذلك، فقد تولى أبوه إسحاق بن الصّباح الكوفة من قبل المهدي والرّشيد، وكانت صلته بهما قوية إلى حد كان يزاحم بمنكبه أبناء عمومة الخليفة[6].

وشب الكندي وهو صبي في أحضان الأروقة العبّاسية مترعرعاً في كنفهم حتّى إذا تولى المأمون الحكم وكان يعرف عنه قيمته العلمية، ومكانته في الفلسفة، وخبرته بالتّرجمة، ضمه إلى العاملين في «بيت الحكمة» وصار ممن يعتمد عليهم في حركته الفكرية ونهضته العلمية، وأصبح بعد زمان قصير أحد اللوامع الأربعة في حقل التّرجمة، وهم: «حنين ابن إسحاق، ويعقوب الكندي، وثابت بن قره، وعلم بن فرجان ولم يشتهر غيره بالفلسفة»[7].

وإذا كان حنين بن إسحاق صاحب مدرسة في التّرجمة اشتهر ببيت الحكمة، فقد قابله فيلسوفنا بهذه المنزلة[8]، وحظي بمكانة خاصة -كما ينقل ابن خلدون[9] -لدى الرّشيد والمأمون، وحتّى صار منجماً لهما، وتحدثنا المصادر بأنّ الكندي -طيلة عهد المأمون- كان موضع عناية وتقدير، وكان له ضلع كبير في الحركة الفكرية وكانت ميزته عن غيره من بناة هذه النّهضة أنّه كان يخدم العلم للعلم، ولم يتخذه يوماً وسيلة للرزق.

وتوثقت هذه العلاقة مع المعتصم عندما تسنم الخلافة «218- 227هـ» وأولاه عناية خاصة بأن جعله أستاذاً لولده أحمد، وقد تركت هذه العناية أثراً في نفس صاحبنا حتّى أنّه وضع رسالة ذكر فيها.... من أخبار هذا الخليفة كما ذكر ذلك المسعودي[10].

أمّا كتاب الفلسفة الأولى والمنشور مفرداً، وضمن مجموعة رسائله الفلسفية، فقد صدر كتابه هذا إلى المعتصم، وبحكم علاقة الأستاذ فقد توثقت الصّلة بين الكندي وأحمد بن المعتصم، حتّى أنّه أصدر الكثير من مؤلفاته باسم أحمد هذا.. وعلى سبيل المثال ما نراه في:

1- رسالته في أنّ العناصر والجرم الأقصى كروية الشّكل.

2- رسالته في الإبانة عن سجود الجرم الأقصى وطاعته لله عز وجل.

(6) فيلسوف العرب: ﷺ.

(7) زبدة الصّحائف في أصول المعارف: ﷺ.

(8) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ﷺ.

(9) تاريخ ابن خلدون: ﷺ/ﷺ.

(10) مروج الذّهب: ﷺ/ﷺ.

3- رسالته في استخراج المعمى.

وحين بدأ دور الواثق بالله «227- 232هـ» رأينا الكندي يعتزل الحياة العامة مما يدل على أنّ الواثق لم يكن على اتصال وثيق به، رغم أنّه كان -كما تصفه الرّواية- محباً للعلم، ومحترماً لأهله يعقد المجالس لهم، ويستمع إلى مناظراتهم مما يدل على كريم احترامهم وتقديرهم[1].

أمّا السّبب في بعد الكندي عن هذا الخليفة فلعله يعود إلى اتصاله الوثيق بأحمد بن المعتصم الّذي كان ينافسه في الخلافة، وصاحبنا -كما تقدم- ارتبط بواسطة المعتصم بأحمد ارتباطاً وثيقاً لمسنا أثره في نفسه فيما وضع باسمه من المؤلفات.

والتّاريخ لم يشر إلى أنّ الواثق أساء إلى الكندي أو عامله معاملة لا تليق بمكانته، وربما تجنب هو الحياة العامة الّتي تنتهي به إلى الاتصال بالخليفة خوفاً من تعرض نفسه لتنكره وإهماله.

ولكنه عاد إلى الاتصال بالبلاط العبّاسي حين أطل عهد المتوكل على الله «232- 247هـ» فقد سايره ردحاً من الزّمن قد يقرب من الثّمان أو التّسع سنوات، وهو في قمة نشاطه العلمي والعملي، وكان عهد المتوكل مليئاً بالمفاجآت الهامة الّتي عكست الطّابع السّيئ لهذا العهد، ومن جملة تلكم المفاجآت تنكر المتوكل للكندي، ومعاملته المعاملة السّيئة الّتي انتهت به إلى نكبته.

والحقيقة أنّ قصة نكبة فيلسوف العرب على يد ا لمتوكل العبّاسي لا تختلف عن قصة أي عبقري من أمثاله، قفز إلى قمة المجد، ثمّ هوى نتيجة الدّس والحقد الأعمى.

والسّؤال الّذي يخالجنا ما هي الأسباب الّتي دعت المتوكل لهذه النّكبة؟

وقد أجاب على ذلك القدماء من المؤرخين فذهبوا إلى أنّ سبب نكبته هو الحقد الشّخصي عليه من قبل ابني موسى المنجم المنافسين له في حظوته عند المتوكل، وقد تمكنا من التّأثير عليه[2].

أمّا المحدثون: فيعتقدون بأنّ سبب نكبة الكندي هي نقمة المتوكل على المعتزلة، وقد كادت العاصفة الّتي مرت بهم أن تحصده مع من حصدت من أهل الاعتزال[3] لولا أنّ له أثرة من مكانة لديه خففت حكمه من الموت إلى الضّرب وحرق مكتبته.

والّذي نراه أنّ لكلتا الإجابتين جانباً من الأصالة وربما تضامنتا في إعطاء السّبب الواقعي لنكبته، فمكانة الكندي لا شك أنّها كانت تبعث على حقد وحسد الكثيرين من خصومه، وكانت آثار هذا الحقد تبرز بين الحين والحين بشكل محاولات ترمي إلى إبعاده عن مركزه في قصر الخلافة.

فمن تلك المحاولات: موقف أبي معشر المنجم، وكان يضاغن الكندي، ويغري به العامة، ويشنع عليه بعلوم الفلسفة -على اعتبار أنّ المتفلسف زنديق- وشعر الكندي بهذا الخطر المحدق به، وفكر في التّخلص منه، فأرسل إليه من حسن النّظر والبحث في الرّياضيات، وفعلاً استجاب، ولما تعمق فيها ورآها مجالاً واسعاً عدل إلى أحكام النّجوم، وسبر غورها، وبانشغاله في ذلك انتهى أمره عن الكندي[4].

والمحاولة الأخيرة الّتي تمكن بها بطلاها محمّد وأحمد ابنا موسى بن شاكر[5] من إحكام الخطة على الكندي وتمكنا من السّيطرة على المتوكل وإغرائه عليه، وكان ما أرادا[6] حيث أرسل المتوكل على الكندي، وأمر بضربه خمسين سوطاً[7] وكان ذلك قبل قتل المتوكل بشهرين[8] وقد ذكرت المصادر أنّ المتوكل قتل عام «247هـ- 861م»، وكانت هذه الحادثة هي نهاية مجده السّياسي والعلمي في القصر العبّاسي، فقد أقصي عن أعماله المسندة إليه ولم يحاول أن يعود إلى منزلته بعد قتل المتوكل فقد اختار لنفسه أن يبتعد عن ذلك الجو الّذي كان يعيشه في أمسه الماضي ليحيا غداً حافلاً بالعلم والعمل.

---

(1) مروج الذّهب: ﷺ/ﷺ- ﷺ.

(2) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ﷺ/ﷺ.

(3) سير ملهمة: ﷺ، والدّكتور فارمر في «تاريخ الموسيقى العربية: ﷺ»، ودي بور في «تاريخ الفلسفة في الإسلام: ﷺ»، وألدّوميلي في «العلم عند العرب: ﷺ».

(4) الفهرست: ﷺ.

(5) ذكر ابن النّديم في «الفهرست: ﷺ» محمّد وأحمد، والحسن بنو موسى بن شاكر ممن تناهوا في طلب العلوم القديمة، وبذلوا فيها الرّغائب وأتعبوا فيها نفوسهم، وأنفذوا إلى بلد الرّوم من أخرجها إليهم، فأحضروا النّقلة من الأصقاع والأماكن بالبذل السّني، فأظهروا عجائب الحكمة وكان الغالب عليهم من العلوم: الهندسة والحيل، والحركات والموسيقى، والنّجوم.

(6) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ﷺ/ﷺ

(7) معجم الشّعراء للمرزباني: ﷺ «ﷺ».

(8) معجم أدباء الأطباء: ﷺ/ﷺ

ولم يكتف الحاقدان بهذا القدر من الإهانة الّتي لحقت به بل عمدا إلى مصادرة مكتبته الضّخمة الّتي كان يعتز بها، وأفرداها في خزانة سميت بالكندية[1].

وتضيف المصادر التّاريخية أنّ طبيعة ابني شاكر مبنية على الحقد والحسد والمنافسة لمن يرياه في منزلة أرفع منهما يقول أبو جعفر أحمد بن يوسف الكاتب: «وكان محمّد وأحمد ابنا شاكر في أيّام المتوكل يكيدان كلّ من ذكر بالتّقدم في معرفة فاشخصا سند بن علي[2] إلى مدينة السّلام، وباعداه عن المتوكل، ودبرا على الكندي حتّى ضربه المتوكل، ووجها إلى داره فأخذا كتبه بأسرها فأفرداها في خزانة سميت بالكندية»[3].

والظّاهر أنّ هذا هو العامل المباشر في نكبته، وإلا فالمصادر تكشف لنا أنّ ثورة المتوكل على المعتزلة بدأت من حين تسنمه الخلافة عام 232هـ ووصلت إلى أوجها عام 237هـ بينما كانت نكبة صاحبنا على يده في سنة 242 وبين النّكبة والثّورة عدة سنوات فأين كان التّيار طيلة هذه المدة عن فيلسوف العرب حتّى تركه يتنعم زمناً غير يسير؟ في حين أنّه لم يكن بمعزل عن أعين العبّاسيين ورصدهم.

نعم ربما كانت نزعة الكندي الاعتزالية ساعدت ابني شاكر في السّيطرة على فكر المتوكل، وإثارته ودفعته إلى الانتقام منه.

وقد انقطع فيلسوفنا بعد هذه النّكبة عن البلاط العبّاسي مدة حياة المتوكل في الحكم، وكذلك في عهد المنتصر بالله وهو لم يدم كثيراً.

وحين جاء عهد المستعين بالله «248- 252هـ» وهو أحمد بن المعتصم -وهذا كما تقدم سابقاً يرتبط بالكندي وله صلات وثيقة- تكهن المتكهنون بأنّ اسمه سيلمع في هذا الدّور، وخشي ابنا موسى أن يستغل الكندي مكانته منه للنكاية بهما، فقاما بمحاولة لإبعاده عن الخلافة، ولكنها لم تنجح، يقول الطّبري: اجتمع الرّأي: «على تولية أحمد بن المعتصم فجاء محمّد المنجم إلى أحمد الخصيب، وبغا -وهما من وزراء الدّولة العبّاسية- وقال أتولون رجلاً عنده أنّه أحق النّاس بالخلافة قبل المتوكل، وإنّكم دفعتموها عنه، وأنّه أحق بالأمر من المتوكل والمنتصر فبأي عين يراكم وأي قدر يكون لكم عنده، ولكن أطيعوا إنساناً يعرف لكم ذلك، قال الطّبري: وإنما فعل محمّد المنجم هذا لأنّ أحمد بن المعتصم صاحب الكندي الفيلسوف، والكندي عدو لمحمّد وأحمد ابني المنجم»[4]، من هذا الحديث نستفيد أنّ الكندي كان على أقوى الاحتمالات باقياً على اتصاله مع المستعين بالله، ولذا فإنّ أولاد شاكر كانوا يخشون هذا الخليفة الصّديق لعدوهم، وكان من المنتظر أن يلعب فيلسوفنا دوره في هذا العهد، غير أنّ الظّاهر أنّ الكندي آثر أن يبقى بمعزل عن الحياة العارمة المحيطة بالبلاط، ولعله حاول أن يتجنب المشاكل الّتي تحدث بطبيعتها من التّقرب للمركز العبّاسي، وخشية أن تحدث أشياء تجدد نفس الدّور.

وبناء على تقريبنا المتقدم في وفاة الكندي فإنّ المستعين وفيلسوفنا قد تركا الدّنيا في عام واحد فقد قتل المستعين عام 52 ومات الكندي فيها أيضاً كما رجحناه.

الجاحظ والكندي

اشتهر فيلسوف العرب بالبخل، وذكرت بعض المصادر ألواناً من سمات بخله، ونوعيته، ويكاد يكون المصدر الأوّل لهذا الحديث هو الجاحظ الّذي عقد فصلاً خاصاً في كتابه

(1) يحدثنا ابن أبي أصيبعة في «عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ﷺ/ﷺ» عن عودة هذه المكتبة إلى الكندي بالكيفية التّالية: «إنّ المتوكل أسند حفر النّهر المعروف بالجعفري إلى محمّد وأحمد ابني موسى، وأسندا أمر النّهر إلى المهندس أحمد كثير الفرغاني، فغلط في فوهة النّهر، وجعلها أخفض من سائره، فصار ما يغمر الفوهة لا يغمر سائر النّهر، فراجع محمّد وأحمد ابنا موسى في أمره، وأرسل خلف سند بن علي من مدينة السّلام فوافى فلما تحقق محمّد وأحمد ابنا موسى أنّ سند بن علي أشخص أيقنا بالهلكة، ويئسا من الحياة، فدعا المتوكل بسند وقال: ما ترك هذان الرّديئان شيئاً من سوء القول إلا وقد ذكراك عندي به، وقد أتلفا جملة من مالي في هذا النّهر، فأخرج إليه حتّى تتأمله وتخبرني بالغلط فيه، فأني قد آليت على نفسي إن كان الأمر على ما وصف لي فإنّي أصلبهما على شاطئه، وكلّ هذا بعين محمّد وأحمد ابني موسى وسمعهما، فخرج وهما معه.

فقال: محمّد بن موسى لسند يا أبا الطّيب إنّ قدرة الحر تذهب حفيظته، وقد فرغنا إليك في أنفسنا الّتي هي أنفس أعلاقنا وما ننكر إنا نسأنا، والاعتراف يهدم الاقتراف فتخلصنا كيف شئت.

قال لهما: والله إنكما لتعلمان ما بيني وبين الكندي من العداوة والمباعدة، ولكن الحق أولى ما أتبع، أفكان من الجميل ما أتيتماه إليه من أخذ كتبه؟ والله لا ذكرتكما بصالحة حتّى تردا عليه كتبه.

فتقدم محمّد بن موسى في حمل الكتب إليه، وأخذ خطه باستيفائها، فوردت رقعة الكندي بتسلمها عن آخرها.

فقال سند: قد وجب لكما علي ذمام برد كتب هذا الرّجل، ولكما ذمام بالمعرفة الّتي لم ترعياها في والخطأ في هذا النّهر يستتر بعد أربعة أشهر بزيادة دجلة، وقد أجمع الحساب على أنّ أمير المؤمنين لا يبلغ هذا المدى، وفعلاً دخل على المتوكل فقال له: ما غلطا، وزادت دجلة، وجرى الماء في النّهر فاستتر حاله، وقتل المتوكل بعد شهرين وسلم محمّد وأحمد بعد شدة الخوف مما توقعاه».

(2) المنجم المأموني: فاضل دهره خبير بتيسير النّجوم، وعمل آلات والأرصاد، وكان يهودياً، وأسلم على يد المأمون «المكافأة: ﷺ/ﷺ».

(3) المكافأة: ﷺ/ﷺ

(4) تاريخ الأمم والملوك: ﷺ/ﷺ.

البخلاء تحدث فيه عن بخل الكندي، وعن قصصه، وما اشتهر عنه، وقد ضمنه بعض الرّسائل الّتي ادعى الجاحظ أنّها للكندي.

فلقد روى مؤلف البخلاء أربع قصص عن الكندي هي مجموع ما استند إليها في فصله هذا مضافاً لذلك الرّسائل المدعاة لفيلسوفنا، ولنقرأ أوّلاً هذه القصص ثمّ نقف منها موقف النّاقد الباحث، روى الجاحظ عن عمرو بن نهيوى بأنّه قال: «كان الكندي لا يزال يقول للساكن، وربما قال للجار: في الدّار امرأة بها حمل، والوحمى ربما أسقطت من ريح القدر الطّيبة فإذا طبختم فردوا شهوتها ولو بغرفة أو لعقة فإنّ النّفس يردها اليسير فإن لم تفعل ذلك بعد إعلامي إيّاك فكفارتك إن أسقطت غرة: أو أمة ألزمت ذلك نفسك أم أبيت، قال: فكان ربما يوافي إلى كثير من قصاع السّكان والجيران ما يكفيه لأيّام، وكان أكثرهم يفطن ويتغافل، وكان الكندي يقول لعياله: أنتم أحسن حالاً من أرباب هذه الضّياع إنما لكلّ بيت منهم لون واحد، وعندكم ألوان».

وروى أيضاً عن نفس الرّاوي يقول: «قال عمرو: وكنت أتغذى عنده يوماً، إذ دخل عليه جار له -وكان الجار له صديقاً- فلم يعرض عليه الغذاء فاستحييت أنا منه فقلت: لو أصبت معنا مما نأكل، قال: قد -والله- فعلت، قال الكندي: ما بعد الله شيء، قال: فكتفه والله -يا أبا عثمان- كتفاً لا يستطيع معه قبضاً ولا بسطاً، وتركه ولو أكل لشهد عليه بالكفر، ولكان عنده قد جعل مع الله شيئاً».

وروى ثالثاً عن نفس هذا الرّاوي يقول: «قال عمرو: بينا أنا ذات يوم إذ سمع صوت انقلاب جرة من الدّار الأخرى فصاح: إي قصاف! فقالت مجيبة له: «ماء» بئر وحياتك، فكانت الجارية في الذّكاء أكثر منه في الاستقصاء».

وقصة رابعة رويت عن معبد قال: نزلنا دار الكندي أكثر من سنة، نروج له الكراء، ونقضي له الحوائج، ونفي له بالشّرط قلت: قد فهمت ترويج الكراء، وقضاء الحوائج فما معنى الوفاء بالشّرط؟ قال: في شرطه على السّكان أن يكون له روث الدّابة، وبعر الشّاة، ونشوار العلوفة، وألا يلقوا عظماً، ولا يخرجوا كساحة، وأن يكون له نوى التّمر، وقشور الرّمان، والغرفة من كلّ قدر تطبخ للحبلى في بيته، وكان في ذلك يتنزل عليهم، فكانوا لطيبه، وإفراط بخله، وحسن حديثه يحتملون ذلك.

قال معبد: فبينا أنا كذلك، إذ قدم ابن عمّ لي ومعه ابن له، وإذا رقعة منه قد جاءتني: إن كان مقام هذين القادمين ليلة أو ليلتين احتملنا ذلك، وإن كان أطماع السّكان في الليلة الواحدة يجر علينا الطّمع في الليالي الكثيرة، فكتبت إليه: ليس مقامهما عندنا إلا شهراً أو نحوه، فكتب إليّ: إنّ دارك بثلاثين درهماً وأنتم ستة، لكلّ رأس خمسة، فإذ قد زدت رجلين، فلا بد من زيادة خمستين، فالدّار عليك من يومك هذا بأربعين، فكتبت إليه: وما يضرك من مقامهما، وثقل أبدانهما على الأرض الّتي تحمل الجبال، وثقل مؤنتهما عليّ دونك فاكتب إلي بعذرك لأعرفه، ولم أدر أنّي أهجم على ما هجمت، وأنّي أقع منه فيما وقعت فكتب إلي[1].

كان الجواب -كما يذكر الجاحظ- طويلاً يستغرق صفحات متعددة[2]، وهو في غاية الإبداع الفني، ضمنه كاتبه المشاكل المترتبة من كثرة المستأجرين، وما يعود عليها من دمار، والأضرار الّتي تلحق بها، والملاحظات الّتي جاءت لا تخرج عن النّاحية العمرانية.

ثمّ يختم الجاحظ حديثه عن بخل الكندي بعد ذكر جواب هذه الرّسالة بقطع نثرية يرويها إسماعيل بن غزان عن الكندي تعرب عن بخله وشحه، ومدى غرامه به[3].

والّذي نلاحظه في هذه القصص أنّها لم تصرح باسم البطل، وإنما اكتفت بنسبته إلى كندة، ولا نستطيع أن نخصها بفيلسوف العرب يعقوب بن إسحاق إلا بشيء من الاستنتاج والاجتهاد.

ولقد تساءل الأستاذ طه الحاجري عن المقصود بهذه النّسبة، وانتهى أو كاد إلى أنّه غير صاحبنا الفيلسوف وقد اختلف في ذلك مع الأستاذ فان فلوتن[4] الّذي كان يرجح أن يكون المقصود للجاحظ هو نفس هذا الفيلسوف مستنتجاً ذلك من قوله -أي الكندي- في رسالته الّتي رواها الجاحظ: «أنت تطالبني ببغض المعتزلة للشيعة، وبما بين أهل الكوفة والبصرة..».

ووجهة نظر الحاجري أنّ هذه العبارة لا تدل على ما يريده لأمرين:

أ- إنّ هذه العبارة لا يمكن أن تفيد شيئاً يعين نسبته إلى بلده، أو يشير إليه إشارة إلا على شيء من القسر والفهم المتكلف.

ب- إنّ أبا يوسف الكندي لم يكن كوفياً -كما يتخيل فان فلوتن وقد بنى عليه استنتاجه- وكلّ ما ذكره المؤرخون أنّ أباه كان أميراً على الكوفة، وليس معنى هذا أنّه كوفي، بل أنّهم يجمعون على أنّه بصري المنشأ، ثمّ انتقل إلى بغداد، وتأدب

---

(1) البخلاء: ﷺ- ﷺ.

(2) نفس المصدر: ﷺ- ﷺ.

(3) البخلاء: ﷺ- ﷺ.

(4) المستشرق فان فلوتن عني بنشر وتحقيق كتاب البخلاء للجاحظ، وأصدرته دار بول بليدن عام ﷺ.

فيها وأقام بها، وكلّ أخباره وتاريخه العلمي في بغداد، ولم يعد يربطه بالبصرة إلا ضيعة كانت له فيها.

وإذا كانت مقدمتا الاستنتاج باطلتين، فلا يمكن أن تترتب عليهما النّتيجة المطلوبة.

ثمّ يناقش الأستاذ الحاجري بعد ذلك من يعتمد شهرته بالبخل كدليل على أنّه هو المقصود، بأنّ شهرة البخل وحدها لا تكفي لإثبات ذلك ما دمنا لا نرى في ثنايا كلام الكندي الّذي ساقه الجاحظ ما ينم على شخصيته كفيلسوف، اللهم إلا أن نتكلف في الاستنتاج والتّطبيق مما لا يطمئن إليه الضّمير العلمي.

وقد عقب بعد هذا بقوله:

وإلى هنا نرى أننا على الأصل في هذا الكندي، وهو أنّه شخص مستقل عن الكندي الفيلسوف حتّى نجد ما يثبت أنّه هو، وفوق هذا نجد لدينا أشياء تجعلنا نستأنس بها في ترجيح هذا الاستقلال.

أوّلاً: من ذلك ما قدمنا من أنّ أبا يوسف الكندي انتقل إلى بغداد، وتأدب فيها، وأقام بها، حتّى أصبح رجلاً بغدادياً، ولكنا نجد في قصة الكندي ما يشير إلى أنّه بصري لا بغدادي، وهذه الإشارة لا نزعم أنّها قاطعة، ولا قريبة من القطع ولكننا نسوقها على سبيل الاستئناس وحده حتّى نجد ما يعززها ويشد منها، وذلك في القصة الّتي رواها عمرو بن نهيوى أنّ الكندي سمع صوت انقلاب جرة من الدّار الأخرى، فصاح بالخادمة، فقالت مجيبة له: إنّه ماء بئر، وظاهرة الحرص على الماء العذب، والمغالاة به ظاهرة بصرية كما سيجيء القول في بعض هذه التّعليقات ويقل عندنا أن يكون شيء من ذلك في بغداد حيث الماء العذب كثير موفور.

ثانياً: ومن ذلك أيضاً مما يشير إلى التّعارض بين الكنديين، ونسوقه أيضاً من قبيل الاستئناس، إنّ كندي البخلاء لم يكن له إلا غلة داره، فلم يكن صاحب ضيعة، إذ كان يقول لعياله: أنتم أحسن حالاً من أرباب هذه الضّياع، وأمّا أبو يوسف الكندي الفيلسوف فقد رأينا أنّه كان يملك ضيعة بالبصرة.

وعلى هذا نرجح أنّ كندينا هذا هو شخص آخر منسوب إلى كندة، غير أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي الفيلسوف[1]، والّذي يبدو لي أنّ الحق في هذا الخلاف مع الأستاذ فلوتن، لا لما ذكره فلوتن في استنتاجه بل لعدة أمور:

أوّلاها- أنّ النّصوص الّتي ذكرها الجاحظ قدى تعطي بعض السّمات الخاصة -ولو من بعيد- لشخصية يعقوب بن إسحاق الكندي ذلك الّذي عرف بالحكمة والطّب كما عرف بغيرهما في ميادين المعرفة.

فمن القصة الأولى الّتي تروى عن عمرو بن نهيوى نستطيع أن نتلمس فيها لمحات من شخصية الكندي الطّبيب، الّذي يتحدث عن الحامل ومشاكلها فالوحمى ربما أسقطت من ريح القدر الطّيبة وهذه خصائص طبية.

ثانيها- في ثنايا الرّسالة الجوابية لمعبد نرى فيها فقرات يطبع عليها طابع التّجربة الحكيمة مما تقرب من أسلوبه الّذي عرضناه سابقاً فمن ذاك -مثلاً- قوله: هذا والأيّام الّتي تنقض المبرم وتبلى الجدّة وتفرق الجمع المجتمع، عاملة في الدّور كما تعمل في الصّخور، وتأخذها المنازل كما تأخذ من كلّ رطب ويابس، وكما تجعل الرّطب يابساً واليابس هشيماً، والهشيم مضمحلاً.

ولانهدام المنازل غاية قريبة ومدة قصيرة، والسّاكن فيها كان المتمتع بها، والمنتفع بمرافقها، وهو الّذي أبلى جدتها، وذهى بحلاها، وبه هرمت، وذهب عمرها لسوء تدبيره، فإذا قسنا الغرم عن انهدامها بإعادتها وبعد ابتدائها، وغرم ما بين ذلك من مرمتها وإصلاحها ثمّ قابلنا بذلك ما أخذنا من غلاتها، وارتفقنا به من إكرائها خرج على المسكن من الخسران بقدر ما حصل للساكن من الرّبح[2].

وفقرة أخرى وردت في مقطع من كلام الكندي حسب رواية إسماعيل بن غزان للجاحظ قال: «فإنّ من أخطأ على نفسه فهو أجدر أن يخطئ على غيره، ومن أخطأ في ظاهر دنياه وفيما يوجد في العين، كان أجدر أن يخطئ في باطن دينه وفيما يوجد بالعقل، فما مدحتم من مدح صنوف الخطأ، وذممتم جميع صنوف الصّواب فاحذروهم كلّ الحذر ولا تأمنوهم على حال»[3].

من هذه الفقرات وغيرها نستطيع أن نتصيد من خلالها طابع فيلسوفنا الكندي.

ثالثها- أنّ المعروف، والمشهور، والمتبادر -في ذلك العهد- من اسم الكندي هو يعقوب بن إسحاق الفيلسوف، فالتّاريخ لم يحدثنا حينذاك بأنّ هناك شخصية لامعة أخرى يطلق عليها هذا الاسم يعاصر الجاحظ، وإذا وجد فليست له تلك الشّخصية الّتي تكون مثار حديث الجاحظ

يساعد على قبول هذا الرّأي أنّ الجاحظ يورد اسم الكندي مرتين في كتابه الحيوان، باختلاف بسيط ففي الرّواية الأولى يقول: «وكان عند يعقوب بن صباح الأشعثي هران ضخمان

(1) البخلاء: ﷺ.

(2) البخلاء: ﷺ.

(3) نفس المصدر: ﷺ.

أحدهما يكوم الآخر متى أراده من غير إكراه، ومن غير أن يكون المسفود يريد من السّافد مثل ما يريد السّافد»[1].

وفي الرّواية الثّانية يقول: «وأخبرني صاحبنا هذا أنّ في منزل أبي يوسف بن إسحاق الكندي هرين ذكرين يكوم أحدهما الآخر -وذلك كثيراً ما يكون- وأنّ المنكوح لا يمانع النّاكح، ولا يلتمس منه مثل الّذي يبذله له»[2].

وعلى كلا الرّوايتين فإنّ الكندي الفيلسوف هو المقصود، لأنّ كلا من الاسمين ينطبق عليه.

بالإضافة إلى أنّ الجاحظ ألف رسالة «في فرط جهل الكندي كما ذكر ذلك ياقوت»[3]، وإنّنا وإن كنا لا نعرف طبيعة هذه الرّسالة إذ لم تصل إلينا إلا أنّها وردت في الكندي الفيلسوف لأنّه مصرح باسمه ومن يؤلف رسالة في فرط جهله لا يستكثر عليه اتخاذه موضعاً للتندر وبخاصة وإنّ صاحبنا عرف بالبخل وفي آثاره -مما لم يذكره الجاحظ- ما يدل على ذلك كوصيته السّابقة الّتي رواها ابن نباتة، وأظن أنّ مثل هذا الكلام الّذي جاء فيها «يا بني كن مع النّاس كلاعب الشّطرنج تحفظ شيئك، وتأخذ من شيئهم...الخ» لو صح عنه لا يصدر إلا عن عريق بالبخل معروف به.

من هذا كله نستطيع أن نطمئن شبه اطمئنان أنّ الكندي الّذي ورد في بخلاء الجاحظ هو فيلسوفنا الكندي وإذا تمكنا من تقريب هذا الرّأي بهذه الاحتمالات، يبقى علينا البحث عن صدق ما جاء في كتاب الجاحظ من قصصه، وبخاصة هذه الرّسالة المطولة، وقبل أن نبحث ذلك نود أن ننبه على أنّ الجاحظ لم يكن ممن يتعففون عن الوضع والافتئات على الآخرين.

يقول الجاحظ في سياق الكلام على الحسد: «وإنّي ربما أؤلّف الكتاب المحكم المتقن وأنسبه إلى نفسي فيتواطأ على الطّعن فيه جماعة من أهل العلم بالحسد المركب فيهم، وربما ألفت الكتاب الّذي هو دونه في معانيه وألفاظه فأترجمه باسم غيري، وأحيله على من تقدمني عصراً مثل ابن المقفع، والخليل، وسلم صاحب بيت الحكمة، ويحيى بن خالد، والعتابي، ومن أشبه هؤلاء من مؤلفي الكتب فيأتيني أولئك القوم بأعيانهم الطّاعنون على الكتاب الّذي كان أحكم من هذا الكتاب لاستنساخ هذا الكتاب وقراءته عليّ...الخ»[4].

وقد حاول الأستاذ طه الحاجري أن يبرر له ذلك بقوله: «فإنّما هي النّزعة الفنية القوية الّتي كانت تدفع بالجاحظ في تلك السّبيل، يرسم صوراً من هذه الحياة وينفث فيها الحياة، وينفخ فيها من روحه، ويعرضها في أسلوب طبيعي جميل أشبه شيء بهذه الحياة نفسها متاعاً للروح الإنسانية والخيال البشري»[5].

ونحن إن اتفقنا مع الأستاذ الحاجري بأنّ الجاحظ لم يتحرج من النّحل والوضع في سبيل الغاية الّتي يريدها، فلا نتفق معه بأنّ جميع دوافع النّحل والوضع عند الجاحظ مبعثها النّزعة الفنية القوية الخالصة.

فنحن في صدد الموضوعات الفردية، ولابدّ أن نسلك في سبيل الكشف عن حيثيات وملابسات تلك الموضوعات الطّرق الّتي تعيننا على إظهار الجوانب المثيرة لهذا الشّيء، وإذا تم لنا ذلك فعندها نرى هل أنّ جميع هذه الدّوافع هي النّزعة الفنية القوية الخالصة، متاعاً للروح الإنسانية، والخيال البشري؟!

وإذا صح أنّ الجاحظ لا يتحرج من الوضع شأن من سبقه من أمثال حماد عجرد، والرّاوية وغيرهما من الأدباء -وهي طبيعة ذلك العصر فيما يبدو- عدنا إلى الرّسالة الّتي أوردها الجاحظ لنبحث صحة نسبتها إليه فهناك بواعث التّشكيك في صحة النّسبة إليه لعلّ أهمها أمران:

أولاً- ما يراه الأستاذ مصطفى عبد الرّزاق من «أنّ أسلوب الجاحظ نفسه ظاهر فيها كلّ الظّهور في تلك الاحتجاجات على ما فيها من تكلف الجدل الفلسفي»[6].

وكذلك يرى الأستاذ محمّد المتولي حيث يقول:

«ويذهب الجاحظ يقص علينا أخباراً أخرى كثيرة عن بخل الكندي، وأنا ذا أقرأ هذه الأخبار لا أ جد فيها إلا نوعاً من الأدب الإنشائي الرّائع، فهذه الصّورة العجيبة لا أظنها تمثل حقيقة من حقائق الحياة، بل أخالها صورة رمزية صنعها الجاحظ الأديب، وإذا كنت قرأت عنده قصة الكندي كلّها فأنت لاشك قد رأيت فيها صبغة القصاص ظاهرة»[7].

ثانياً- أنّ بعض الفقرات الواردة فيها تشير إلى انحدار كبير في نفسية الكندي، ولم تحدثنا المصادر بمثل هذا وإن حدثتنا عن اشتهاره بالبخل.

فمثلاً- أنّ الكندي يشترط على المستأجرين أن يكون له «روث الدّابة، وبعر الشّاة، ونشوار العلوفة، وإلا يلقوا عظماً، ولا

(1) الحيوان: ج/ص.

(2) نفس المصدر: ج/ص- ص.

(3) معجم أدباء: ج/ص «طبعة مرجليون».

(4) مقدمة البخلاء: ص عن رسالة فصل ما بين العداوة والحسد «مجموع رسائل الجاحظ: ص- ص ط لجنة التّأليف والتّرجمة».

(5) مقدمة البخلاء: ص.

(6) فيلسوف العرب: ص.

(7) مجلة المقتطف: ص/ص مقال «التّعريف بالكندي».

يخرجوا كساحة، وأن يكون له نوى التّمر وقشور الرّمان، والغرفة من كلّ قدر يطبخ للحبلى في بيته»[1].

ويمكنني أن أجزم أنّ نفسية الكندي -حتّى وإن كان معروفاً بالبخل- أعلى مما يصفه الجاحظ به، وما هذه الخصال الّتي ينسبها الجاحظ له مما تناسب الكندي الّذي تبوأ المكانة اللائقة عند الخلفاء العباسيين ردحاً من الزّمن وانصهر بإطارهم الارستقراطي عادة، ولا أقل من أن يحتفظ بشخصية تتناسب ومجالسة العباسيين، والتّرداد عليهم ويبتعد عن مستوى الطّبقة الضّعيفة من النّاس ممن يجمعون قشور الرّمان ونوى التّمر، وروث الدّابة، وبعر الشّاة ونشوار العلوفة، وهذا كلّه أقرب إلى تهويل الجاحظ منه إلى نفسية الكندي.

والكندي -كما تحدثنا المصادر- أنّه كان يعيش مرفهاً في حياته تتوفر في داره أسباب النّعيم المادي إلى جانب المتاع العقلي، وكانت له ضيعة بالبصرة، وكان غنياً بما ورثه من آبائه، وبما وصل إليه من بر الخلفاء[2]، ومكتبته الكندية الضّخمة تدل على إمكانيته المادية.

وإذا عرفنا -كما يقول- الأستاذ مصطفى عبد الرّزاق أنّ كتاب البخلاء مؤلف عام 254، وأنّ وفاة الكندي -كما يرجحها- عام 252هـ

إذاً فالرّسالة قد تم تأليفها بعد وفاة صاحبها المنسوبة إليه بما يقارب العامين، ومعنى هذا أنّ الكندي لم يطلع عليها ليدافع عن نفسه، وعن هذه الرّوايات المسندة إليه، وما الّذي يمنع الجاحظ من وضع هذه الرّسالة وهو لا يخشى عواقبها، وقد صرح هو في ختام مقدمته للبخلاء قائلاً: «وقد كتبنا لك أحاديث كثيرة مضافة إلى أربابها، وأحاديث كثيرة غير مضافة إلى أربابها: إمّا بالخوف منهم وإمّا بالإكرام لهم»[3].

ومادام الجاحظ قد انتفى عنه الخوف بموت الكندي، والإكرام لا يفكر فيه مؤلف البخلاء لا يبقى أي مانع يمنعه من الوضع.

وإذا تسرب منا الشّك في صحة الأقوال المروية عن الكندي في هذه الرّسالة، وتمكنا من تقريب هذا الشّك بالاحتمالات الّتي ذكرناها وأنّها من وضع الجاحظ نفسه -على أقرب الاحتمالات- تلفيقها ضده مادام هو لم يتحرج من الوضع والنّحل، فلابدّ من السّؤال -أخيراً- عن بواعث هذا الوضع والنّحل.

إنّ الّذي احتمله أنّ الجاحظ عاصر الكندي واندفع ضده بدافع الحسد والمنافسة، خاصة وأنّ بعض المصادر -كما تقدم- تصرح لنا أنّ الجاحظ وضع رسالة في فرط جهل الكندي.

أمّا بواعث هذا الحقد أو ما شابهه فيمكن أن نجملها في أربعة نقاط:

أولاً- أنّ الكندي والجاحظ عاشا في عصر واحد، واشتهرا في وقت واحد، وبحكم شهرتهما فإنّ كلا منهما نافس الآخر في مكانته العلمية، وكان الكندي يمتاز على الجاحظ بانحداره من أسرة عريقة توجت بالملوكية، واشتهرت بعروبتها وهي كندة، في حين أنّ الجاحظ ينتهي إلى أسرة عربية لم تطاول كندة بمجدها وهي «ليث»، أضف إلى ذلك أنّه ينتسب إليها بالولاء[4].

ثانياً- أنّ الكندي كوفي الأصل، والجاحظ بصري، ولمع اسم الكندي في وسط الأروقة العباسية ببغداد وبقي الجاحظ في البصرة بعيداً، وبين الكوفيين والبصريين جذور خلاف مزمن، ومنافسة عنيفة من قديم الزّمان.

ثالثاً- أنّ الكندي حظي بمركز مرموق لدى المأمون، والمعتصم وشطراً كبيراً من عهد المتوكل، وأصبحت له المكانة المرموقة في البلاط العباسي، وتحدثت عنه المصادر في أدواره الأولى في التّرجمة وبيت الحكمة، والجاحظ بعيد عن هذا العالم -كما نستظهره من حديث المؤرخين- ولقد وصل خبره إلى المتوكل -كما تقول الرّواية- وعزم على اختياره لتأديب ولده فاستقدمه إليه في «سر من رأى» فلما رآه المتوكل استبشع منظره، فأمر له بعشرة آلاف درهم فصرفه[5].

وربما كان انصراف المتوكل عن الجاحظ بتأثير الكندي الّذي كان له -في بادئ الأمر- الحظوة عند هذا الخليفة ولعله استغل قبح منظره فحبذ له بُعده عن تأديب ولده... وهو إذ يعود إلى البصرة خائباً يبقى فيها إلى أن يموت.

رابعاً- أنّ الجاحظ معتزلي الرّأي، تعمق فيه، حتّى انفرد عن سائر المعتزلة بمسائل تابعهُ بها جماعة عرفوا فيما بعد «بالجاحظية»[6] والكندي ساير المعتزلة في بعض آرائهم، ولكنّه تخلص منهم وعمد إلى الفلسفة، وفسر تلك الآراء على أساس فلسفي، فهو أول فيلسوف مسلم، وهذا التّبدل الفكري -بطبيعته- يخلق جواً من الاختلاف والخصومة بين الطّرفين.

---

(1) البخلاء: ﷺ.

(2) فيلسوف العرب: ﷺ.

(3) البخلاء: ﷺ.

(4) تاريخ آداب اللغة العربية: ﷺ/ﷺ.

(5) تاريخ آداب اللغة العربية: ﷺ/ﷺ.

(6) الملل والنّحل: ﷺ/ﷺ- ﷺ.

وقد تكون هناك أسباب وجوانب أخرى تتعلق بحياة كلّ منهما الشّخصية أدت إلى هذا النّوع من التّنافس.

وكيفما كان فالّذي احتمله أكبر الاحتمال أنّ الرّسالة وضعها الجاحظ نكاية بالكندي، والحط من قدره وإظهار شخصيته بمظهر مشين، مستغلاً ما عرف واشتهر به من البخل.

مع المؤرخين والكتاب

ونحن إذ نلتقي مع نخبة من المؤرخين والكتاب لنستعرض آراءهم وأقوالهم في شخصية فيلسوفنا، فربما أفادتنا –هذه الأقوال– في دعم خبرتنا عنه بحكم دراستنا لآثاره، وجوانبه العلمية الّتي عرف بها.

قال ابن النّديم المتوفى 378هـ:

«فاضل دهره، وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها، ويسمى فيلسوف العرب وكتبه في علوم مختلفة مثل المنطق، والفلسفة والهندسة، والحساب، والارثماطيقي، والموسيقى، والنّجوم، وغير ذلك»[1].

وقال صاعد الأندلسي المتوفى 462هـ:

«ولم يكن في الإسلام من اشتهر عند النّاس بعلوم الفلسفة حتّى سموه فيلسوفاً غير يعقوب وله في أكثر العلوم تآليف مشهورة، من المصنفات الطّوال والرّسائل القصار ما يزيد عددها على خمسين تأليفاً»[2].

وظهير الدّين البيهقي المتوفى 565هـ بحديثه عنه يقول:

«خائضاً غمرات العلم، وله تصانيف كثيرة، وقد جمع في بعض تصانيفه بين أصول الشّرع وأصول المعقولات»[3].

وقال محمّد بن محمود الشّهرزوري من رجال المائة السّابعة:

«إنّ الكندي كان مهندساً، وأنّه قد جمع في تصانيفه من الشّرع والمعقولات، وهو وإن كان يسمى فيلسوف العرب، فهو يمثل دور الانتقال من الكلام إلى الفلسفة الخالصة، كما نراها عند الفارابي»[4].

وذكر القفطي المتوفى 646.

«إن المشتهر في الملة الإسلامية بالتّبحر في فنون الحكمة اليونانية، والفارسية، والهندية متخصص بأحكام النّجوم وأحكام سائر العلوم فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها»[5].

وجاء عند ابن أبي اصيبعة المتوفى 668:

«ولم يكن في الإسلام غيره احتذى في تواليفه حذر أرسطوطاليس، وله تواليف كثيرة في فنون من العلم، ترجم من كتب الفلسفة الكثيرة، وأوضح منها المشكل، ولخص المستصعب وبسط العويص»[6].

وقال ابن نباتة المتوفى 768هـ:

«واشتغل بعلم الأدب، ثمّ بعلوم الفلسفة جميعها فأتقنها وحل مشكلات كتب الأوائل، وحذا حذو أرسطاطاليس، وصنف الكتب الجليلة الجمة، وكثرت فوائده وتلامذته، وكانت دولة المعتصم تتجمل به وبمصنّفاته وهي كثيرة جداً»[7].

وابن حجر العسقلاني المتوفى 852 يقول:

«كان واحد عصره في معرفة العلوم القديمة، وصنف في المنطق والحساب والارثماطيقي، والموسيقى والنّجوم»[8].

أمّا المحدثون فقد نقل دي بور عن كاردان –أحد فلاسفة عصر النّهضة– أنّه اعتبر الكندي، واحداً من اثني عشر مفكراً، هم أنفذ المفكرين عقولاً[9].

---

(1) الفهرست: ﷺ.

(2) طبقات الأمم: ﷺ – ﷺ.

(3) تتمة صوان الحكمة: ﷺ

(4) تاريخ الفلسفة في الإسلام ﷺ هامس ﷺ– نقلاً عن كتاب نزهة الأرواح وروضة الأفراح.

(5) أخبار الحكماء: ﷺ

(6) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ﷺ/ﷺ

(7) سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون: ﷺ

(8) لسان الميزان ﷺ/ﷺ، والّذي يلاحظ أنّ ابن حجر أورد للكندي ترجمتين في ص ﷺ و ﷺ من الجزء السّادس بدون اختلاف في النّسب سوى في التّرجمة ص ﷺ قال: «يعقوب بن إسحاق بن الصّباح بن عمران بن إسماعيل بن محمّد بن الأشعث الكندي، فيلسوف العرب يكنى أبا يوسف»، وجاء في التّرجمة الثّانية ص ﷺ يعقوب بن الصّباح بن عمران بن إسماعيل بن محمّد بن الأشعث الكندي، أبو يوسف، فيلسوف الإسلام، والظّاهر أنّ ابن حجر اعتقد أنّهما ترجمتان مستقلتان لشخصيتين في حين أنّهما لم يختلفا إلا بزيادة الأولى اسم إسحاق الّذي يرد قبل الصّباح وهو أب يعقوب.

(9) تاريخ الفلسفة في الإسلام: ص ﷺ، وينقل النّص محمّد لطفي جمعة في «تاريخ فلاسفة الإسلام ص ﷺ» على الوجه التّالي: فقد عدّه غليوم كردانو الإيطالي المتوفى ﷺ بين الاثني عشر عبقرياً الّذين ذكر أنّهم أهل الطّراز الأوّل في الذّكاء والعلم لم يخرج للناس سواهم منذ بداية العالم إلى نهاية القرن السّادس عشر للمسيح، «وقد أورد هذا النّص أيضاً مصطفى عبد الرّزاق في «فيلسوف العرب ص ﷺ» بما يقارب هذا بزيادة» وأنّه كان في القرون الوسطى يعتبر واحداً من ثمانية هم أئمة العلوم الفلكية.

ويقول بروكلمان عنه:

«وفي عهد المأمون استهل أبو يوسف يعقوب الكندي «فيلسوف العرب» -وأحد العقول الكبرى في تاريخ العالم- كما دعا كاردانو سنة 1552 -نشاطه الفكري الّذي لم يقتصر على تعريف مواطنيه بالفلسفة الأرسطوطاليسية والأفلاطونية الجديدة من طريق التّرجمة والاقتباس فحسب، بل عدا ذلك إلى توسيع آفاقهم العقلية بما أخرج من دراسات في التّاريخ الطّبيعي، وعلم الظّواهر الجوية مكتوبة بروح تلك الفلسفة»[1].

وجاء في دائرة المعارف البريطانية ما نصه:

«لقد كان من أوائل المترجمين والشّارحين والمعقبين إلى إنتاجات غيره وترجماتهم، كان يشبه الفارابي ظاهراً، ولكنّه حل محل ابن سينا، وفلسفة الكندي تنحصر في الرّياضيات والفلسفة الطّبيعية، وتركيب العناصر الأولية والمواد الخام»[2].

ونقل محمّد لطفي جمعة عن روجر باكون[3].

«إنّ الكندي والحسن بن الهيثم في الصّف الأوّل مع بطليموس لاشتهاره بما دوّنه في علم المرئيات وقد نقل بعض رسائله في هذا الباب جيراردي كريمونا».

ونقل مصطفى عبد الرّزاق عن ماسنيون:

أنّه: «أمام أوّل مذهب فلسفي إسلامي في بغداد، وله أبحاث طريفة، ثمّ يرجع إليه الفضل بعد ذلك في تحرير جملة من التّراجم العربية لمصنفات يونانية في الفلسفة»[4].

وذكر خدابخش -المؤرخ الهندي- عنه:

«قام الكندي بدراسة كتب الإغريق والفرس والهنود الّتي تتناول الفلسفة، والطّب، والرّياضة، ويعتبره أبو الفرج ندا لقسطة بن لوقا»[5].

وتحدث ألدوميلي عنه قائلاً:

«أمّا وقد سبقت لنا فرصة الحديث عن بعض الفلاسفة، فلن نقف إلا عند عالم ذي شهرة رائعة أطلق اسم «فيلسوف العرب» علماً عليه، ويبدو أنّ ذلك كان أيضاً، لأنّه هو الفيلسوف الفذ من عنصر عربي وكان متبحراً في الفلسفة والعلم اليونانيين، وكان -أيضاً- عالماً ترجم جيراردودي كريمونا قسماً كبيراً منها فاثرت تأثيراً عميقاً في الشّعوب اللاتينية»[6].

(1) تاريخ الشّعوب الإسلامية: ﷺ/ﷺ.
(2) ص ﷺ/ﷺ.
(3) تاريخ فلاسفة الإسلام: ص ﷺ.
(4) فيلسوف العرب: ص ﷺ.
(5) الحضارة الإسلامية: ﷺ.
(6) العلم عند العرب: ص ﷺ.

وقال الفريد كيوم:

«إنّ عبارة «الفلسفة العربية» تسوق إلى المستشرقين معنى معيناً فهم يعرفون بأنّ العربي الخالص الدّم «الكندي» فقط هو الّذي برز وأثبت وجوده في معرض مشاكل فلسفية دقيقة، وفي هذا الجيل ظهرت مؤلفات أوّل وآخر فيلسوف أنجبه العرب»[7].

ويتحدث الدكتور فيليب حتّي عنه:

«والكندي الفيلسوف العربي المشهور لم يكن فيلسوفاً فقط بل كان عالماً بالتّنجيم، والكيمياء، والبصريات، وأصول الموسيقى، وقد سعى شأن أصحاب الفلسفة الأفلاطونية الجديدة إلى مزج آراء أفلاطون وأرسطو والتّوفيق بينهما، وحسب الرّياضيات الّتي خلفتها مدرسة فيثاغورس المتأخرة أساس العلم على الإطلاق»[8].

وأخيراً يتحدث عنه مصطفى عبد الرّزاق فيقول:

«فيما أسلفنا دليل على إحاطة الكندي بكلّ أنواع المعارف الّتي كانت لعهده على اختلافها إحاطة تدل على سعة مداركه، وقوّة عقله وعظم جهوده، وقد ألف في كلّ تلك العلوم كتباً ورسائل يشهد ما عرف منها وما تنوقل من مقتطفاتها بما للكندي من استقلال في البحث، ونظر ممتاز.

أمّا شأنه في الفلسفة فهو أهم شؤونه، ومظهر عبقريته، ومناط الخلود لاسمه في ثنايا التّاريخ»[9].

ومن هذا العرض الطّويل لأقوال المؤرخين القدماء والمستشرقين والمحدثين من الكتاب نخرج بنتيجة حاسمة وهامة، هي أنّ فيلسوفنا يمكن أن ندعي -غير مبالغين- أنّ الإجماع قام على أنّه أحد النّوابغ.

وهذه الكلمات وإن لم تكف في تحديد شخصيته -في مختلف مجالاتها وبخاصة العلمية منها- لخلوها من الأرقام الّتي يمكن أن تعتمد في تجلية هذه الجوانب ولاعتمادها على التّعميمات الّتي لا تصلح للتقييم، إلا أنّها تصلح ولاشك أن تعكس بعض الأضواء عليها، وحسبنا منها أنّ هذا النّوع من الإكبار لا يأتي من جميع هؤلاء ما لم يكن في صاحبه ما يبعث عليه عادة وهذا ما نريد أن نتلمسه من دراستنا لآثاره لنقدم الأرقام على ذلك.

في ميادين المعرفة

(7) تراث الإسلام: ﷺ، ﷺ/ﷺ.
(8) تاريخ العرب «موجز»: ص ﷺ.
(9) فيلسوف العرب: ص ﷺ.

صعد الكندي إلى قمة المجد بفضل مكانته العلمية، ونال شهرة واسعة لم يرتق إليها بالجاه العريض، أو بمصاحبة الخلفاء العبّاسيين، وصل إليها بفضله وعلمه، ومعرفته الواسعة في ميادين متعددة مما تدل على عمق فضيلته.

ولعل إطلاق لقب «فيلسوف العرب» عليه يعكس لنا شخصية فيلسوفنا، وما كان يتمتع به من منزلة عظيمة تؤهله للظفر بجدارة واستحقاق لهذا اللقب الرّفيع.

فقد تحدث المؤرخون عنه كفيلسوف: بأنّ التّاريخ الإسلامي لم يعرف فيلسوفاً قبله لامعاً يحذو حذو أرسطو، وعمل على تقريب وجهات النّظر بين أرسطو وأفلاطون، ومزج بين الأفلاطونية الحديثة والفيثاغورية الجديدة، فكان والرّائد الأوّل للمدرسة الفلسفية الإسلامية والشّخصية الفكرية اللتين مثلتا دور الانتقال من الكلام إلى الفلسفة وتحدثوا عنه كعالم بالطّب: له آثار خالدة فيه، ومنها اكتشافه في مباشرة المرضى على أساس نفسي.

كما تحدثوا عن مساهمته في بناء النّهضة العلمية في دور التّرجمة، فقد قام بقسط وافر من هذا الأمر، ولكن لا على أساس الارتزاق، وقالوا عن عمقه الرّياضي: إنّه اعتمد عليها في بنائه الفلسفي، وحتّى طبقها في أبحاثه الطّبية، كما تلاعب بها في الأدب، وعرف بأنّ له في الطّب والرّياضيات عصمة عن الخرافات والتّدجيل.

وفي فن الموسيقى: وصفوه بأنّه موسيقي بارع وضع آثاراً موسيقية يحصل المتتبع لها على نظرة دقيقة في موسيقى كبار فناني ذلك العصر النّظرية، كما يحصل فيها على النّظريات المأخوذة من الإغريق القدماء.

ثمّ ذكروا بأنّه انكب على اللغات: اليونانية، والفارسية، والهندية فنهل من ينابيعها المختلفة، وله في كلّ علم عشرات من الكتب والرّسائل وقد بلغ بها البعض إلى ما يزيد على 260 كتاباً ورسالة.

وإذا انتقلنا إلى الجغرافيا: وجدنا المؤرخين يدعون أنّ البحث في أحوال الأقاليم وليد النّهضة العلمية الّتي ظهرت في القرن الثّالث الهجري، وأوّل ما كان من ذلك كتب الكندي.

أمّا البصريات: فقد اهتم العرب بها منذ أيّام الكندي، فهو من الرّواد الأوائل لهذا الفن، وقد ألف كتاباً في اختلاف المناظر، وآخر في اختلاف مناظر المرآة.

وفي الجواهر والأشباه: فقد شهد البيروني له بأنّه لم يقع لديه من هذا الفن غير كتاب أبي يوسف الكندي الّذي قد افترع فيها عذرته وأظهر ذروته كاختراع البدائع في كلّ ما وصلت إليه يده من سائر الفنون فهو أمام المحدثين وأسوة الباقين.

ونحن إزاء هذا الحشد الهائل من الأقوال لا بد أن نقف منها موقف الفاحص النّاقد لنرى مدى صحة هذه الأحاديث، وليس لنا في الوصول إلى ما نريد إلا طريقان:

أوّلاً- ما نستفيده من أقوال المؤرخين والكتاب سواء منهم القدماء أو المحدثين، وقد تقدم هذا البحث.

ثانياً- من دراسة آثاره العلمية، والجوانب الّتي عرف بها.

وعسى أن نتوصل بعد هذا إلى ما يكشف لنا عن قيمة فيلسوف العرب، ومدى قابليته العلمية وطاقته الفكرية، من هذين الطّريقين، وهذا ما سنتوخاه في البحوث التّالية.

التّرجمة ودوره فيها

كانت الأبحاث العلمية منحصرة عند الإغريق، والفرس يدونها علماء اليونان إلى جنب تلك العلوم والمنابع الثّرة الأصيلة الّتي تزخر بها أثينا حينذاك، وعندما خمد مجد الإمبراطوريتين البيزنطية والسّاسانية انتقلت الحركة العلمية إلى الإسكندرية، ووجد هذا التّراث فيها احتضاناً عجيباً، وازدهرت الأكاديمية العلمية في الإسكندرية قبل الفتح الإسلامي.

ثمّ انتقل المركز العلمي إلى «الرّها» في القرن الخامس الميلادي، وبعد ردح من الزّمن انتقل المعهد العلمي إلى «نصيبين»، وكان عبارة عن مدرسة للطب والطّب في عرف الماضين فرع الفلسفة.

وفي غضون النّصف الأوّل من القرن السّادس انتقلت القاعدة العلمية إلى «جند يسابور» في جنوب غربي إيران، وأنشأ ملوك السّاسانيين في هذه المدينة قاعدة علمية مؤلفة من معهد دراسي لعلوم الحكمة، ومستشفى للدراسات الطّبية، ومختبر للعلوم المختبرية.

وفي ظل حكم الملك كسرى «531- 579م» أينعت هذه المدينة بالعلم، لتعهد كسرى لها بالنّمو وجعلها أهم مركز ثقافي في حينه.

وساعد على ازدهار هذا المعهد في «جند يسابور» إقدام «جوستينان» على إغلاق جميع مدارسه الفلسفية في أثينا عام 529م، فنزح منها علماء الإغريق، والتقوا هناك علماء السّريان بعلماء الهند والفرس، وكان حتماً أن ينجم -من هذا الحشد العلمي- نشاط له أهميته وأثره في دنيا العلم، كما له تأثيره في صقل العقلية العربية المجاورة له، وفي تقدم الفكر الإسلامي فيما بعد.

ولعل الأثر البالغ في تقدم المجال العلمي يعود إلى السّريانيين، فقد خدموا العلم والفلسفة بما ترجموا وكانت ترجمتهم للكتب الفلسفية اليونانية هي الأساس الّذي اعتمد عليه العرب والمسلمون أوّل أمرهم، وكانت التّرجمة السّريانية -في

عهدها الأوّل- ترجمة حرفية تقريباً ينقلون العلوم اليونانية بدقة وأمانة فيما لا يمس الدّين: كالمنطق، والطّبيعة، والطّب، والرّياضة، أمّا الإلهيات فقد كانت تعدل بما يتفق والمسيحية[1].

وحفظت اللغة السّريانية بعض الكتب الّتي فقد أصلها من التّراث اليوناني، وغير التّراث اليوناني، فقد حدثتنا المصادر بأنّهم لم يقتصروا على التّرجمة اليونانية، بل ترجموا كذلك من الفهلوية، كتاريخ الإسكندر الّذي ترجمه الفرس عن اليونانية، ثمّ نقله السّريانيون من الفهلوية، وكذلك ترجموا كليلة ودمنة إلى السّريانية في القرن السّادس، وقصة السّندباد في القرن الثّامن الميلادي[2].

وكان للسريانيين الأثر الأوّل في نشر المذهب الأفلاطوني الحديث خاصة في العراق وما حوله.

ولما فتح المسلمون هذه البلاد في القرن السّابع الميلادي أسلم بعض السّريانيين، وظل بعضهم محافظاً على دينه يدفع الجزية، وبقيت الأكاديمية في «جند يسابور» المركز العلمي في عهد الإسلام، كما بقيت المدارس السّريانية غير الأكاديمية مفتوحة بنشاط حتّى الحكم الأموي «41- 132هـ 661- 749م» ولم يتدخل الخلفاء والأمراء في شؤونهم إلا عندما يحتدم النّزاع الدّيني بينهم فيلجأ بعضهم إلى الولاة يستنصرهم.

وتشير المصادر إلى أنّ أوّل عربي التحق بهذا المعهد هو الحارث بن كلدة، وذلك في عهد الرّسول(ﷺ) الّذي شجع على العلم، والتّعرف على تراث الماضين[3].

حتّى إذا بدأ عصر التّرجمة من سنة «133- 236هـ 750- 850م» وهو العهد العبّاسي، أخذت العلوم تتسرب إلى العرب والمسلمين وانشغلوا بدنياهم الجديدة العلمية، تلك الّتي ضربوا في مضمارها في شتى الميادين، فبشرت بإنتاج وابتكار رائعين، وأكد المسلمون والعرب على جدارتهم العلمية باقتباسهم لتراث اليونان، والهند، وفارس[4].

وكان حظ الطّب من هذه النّهضة وافراً -وتصرح الرّواية- بأنّ العرب استخلصوا لأنفسهم آراء لها أثرها في نتاجهم العلمي، وقد برزت بشكلها الرّائع في الطّب والفلسفة، ولكنها تجلت بنوع خاص في الكيمياء والفلك، والرّياضيات، والجغرافية[5] وبرز فيهم عمالقة قديرون يشار لهم بالبنان.

ويتحدث الدّكتور مايرهوف عن أحد هذه الشّخصيات العلمية الّذين لمعوا في تلك الحقبة فيقول: «وفي تباشير فجر هذا العهد برز لنا رجل مسلم امتد خياله، وتطاول إلى علوم القرون الوسطى شرقاً وغرباً ذلك هو جابر بن حيان المعروف بالعالم اللاتيني المثقف في خلال القرون الوسطى باسم: «جبر Geber» كان ابن عطار عربي في الكوفة، استشهد في سبيل تشيعه، مارس علوم الطّب، والحكمة، وقد اشتهر بأبي الكيمياء العربية»[6].

زخر القرن التّاسع الميلادي بنشاط ثقافي وعلمي، وبخاصة في التّرجمة والنّقل، ورعت الخلافة العبّاسية هذا الاتجاه العلمي، وغذته بما يمكنها من مال وجاه، فدخلت الأمّة الإسلامية اللغات: اليونانية، والسّريانية، والهندية، والفارسية.

وكان للسريانيين الفضل الأكبر في ترجمة الفلسفة والعلوم: على يد أمثال حنين بن إسحاق، وابنه إسحاق، وابن أخته حبيش[7].

ورعى المسلمون المباحث القرآنية الّتي تدور في فلك الفلسفة والطّب وفهموا الأحاديث الشّريفة، وأقوال أئمّة الهدى من أهل البيت(عليهم السلام) في الكثير من هذه المناحي العلمية، بعد أن كانت غامضة على العقلية العربية من قبل.

وحفل عهد المأمون العبّاسي بأعظم نهضة علمية، وصلت فيها الجهود الثّقافية حداً لم تبلغها في العهود السّابقة، فقد أسس «بيت الحكمة» وخصص له المترجمين والنّقلة، وجهزه بمكتبة عامرة، ورصد ميزانية ضخمة لشراء التّراث اليوناني، والهندي، والفارسي، وعهد إدارة هذا المعهد إلى جمهرة من علية العلماء، وطبقة ممتازة من المترجمين أمثال: حنين بن إسحاق، ويوحنا بن ماسويه، وقسطا بن لوقا، وثابت بن قرة، ويعقوب بن إسحاق الكندي «مفخرة الفكر العربي»[8].

وبطريقة التّرجمة نقل إلى العالم الإسلامي كلّ التّراث العلمي الضّخم الّذي خلفه جهابذة اليونان والكثير من آثار الهند وفارس.

في هذا العهد بالذّات لمع اسم فيلسوفنا أبي يوسف الكندي كمساهم في بناء هذه النّهضة العلمية العربية بما ترجمه وأفاده، ولإيضاح هذا المعنى يقول الأستاذ نوفل نوفل: «وكان المترجمون الّذين يعتمد عليهم «المأمون» في هذا الأمر أربعة

(1) فجر الإسلام: عليه السلام/رضي الله عنه/رحمه الله.
(2) فجر الإسلام: عليه السلام/رضي الله عنه/رحمه الله.
(3) نفس المصدر: رضي الله عنه/رحمه الله.
(4) تاريخ العرب: «مطول» عليه السلام/رضي الله عنه/رحمه الله.
(5) تاريخ العرب: «مطول» عليه السلام/رضي الله عنه/رحمه الله.
(6) تراث الإسلام: عليه السلام/رضي الله عنه/رحمه الله- رضي الله عنه/رحمه الله.
(7) فجر الإسلام: عليه السلام/رضي الله عنه/رحمه الله.
(8) تراث الإسلام: عليه السلام/رضي الله عنه/رحمه الله هامش «عليه السلام»، وعصر المأمون: عليه السلام/عليه السلام/رضي الله عنه/رحمه الله.

وهم: حنين بن إسحاق العبادي، ويعقوب بن إسحاق الكندي، وثابت بن قرة الحراني، وعلم بن فرجان الطّبري، فترجموا له مؤلفات فيثاغورس، وأفلاطون، وارستطاليس وبقراط وجالينوس، وغير ذلك من كتب الفلاسفة والأطباء إذ لم يعبأ العرب بغيرها من المؤلفات التّاريخية والشّعرية»[1].

وتحدثنا بعض المصادر أنّ مترجمنا ساهم في التّرجمة إلى جانب مدرسة حنين بن إسحاق، وكان في طليعة المترجمين الممتازين، فقد أتقن من اللغات: العربية، والسّريانية، والفارسية، والهندية، وكان من النّابغين فيها[2]، لذا فقد عده الأستاذ الزّيات[3]، من أبرع النّاس في التّرجمة اليونانية.

وأكد هذا المعنى الأستاذ عبد الرّحمن بدوي[4] بقوله: «ويذكر مؤرخو كتب العرب من بين كبار المترجمين أبا يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، وقد كان حقاً بحسب ما نعرف أوّل مسلم أتقن علوم اليونان إلى حد يدعو إلى الدّهشة».

والّذي نلاحظه أنّ أصحاب التّراجم لم يذكروا اسم فيلسوفنا من بين أسماء المختصين «ببيت الحكمة» أو -على الأصح- من موظفيه فما هو السّبب؟

ويجيب جرجي زيدان[5] على ذلك فيقول: «وكان يعد من حذاق التّرجمة ولم يذكر بينهم لأنّه لم يرتزق بالتّرجمة».

والشّيء الّذي نستطيع أن نضع أيدينا عليه الآن: هو أنّ فيلسوفنا كان من المبرزين في التّرجمة، واللامعين فيها، وكان دوره في هذا الحقل جيداً، ترجم كثيراً من كتب الفلاسفة وشرح غوامضها، مضافاً إلى نبوغه في الطّب وعلم الحساب، والمنطق، والهندسة، وعلم النّجوم[6]، ثمّ بعد هذا كلّه نتساءل عن حصيلة نتاجه في هذا المضمار، وما وصل إلينا منه؟

عندما نرجع إلى ابن النّديم[7] نراه يذكر لنا جملة من التّراث اليوناني الّذي ترجمه أو أصلحه الكندي وإن لم يصلنا من هذا الأثر شيء منها:

1- قاطيغورياس لأرسطو معناه: المقولات، نقله إلى العربية حنين بن إسحاق، واختصره الكندي.

2- باري أرمانياس لأرسطو معناه: العبارة، نقله إلى العربية إسحاق بن حنين، واختصره الكندي.

3- أبود قطيقا لأرسطو معناه: البرهان، نقله إلى العربية متّى وشرحه الكندي.

4- سوفسطيقا لأرسطو معناه: الحكمة المموهة، نقله إلى العربية يحيى بن عدي وفسره الكندي.

5- ريطوريقا لأرسطو معناه: الخطابة، نقله إلى العربية أبو بشر متّى، واختصره الكندي.

6- أثولوجيا لأرسطو معناه: الرّبوبية، فسره الكندي وهناك كتب متفرقة ذكرها المؤرخون والكتاب: فقد ذكر لنا الحجة الشّيخ آغا بزرك الطّهراني[8] أنّ له:

1- تحرير أكراوطولوقس المهندس اليوناني: عرف في عهد المأمون، وأصلحه الكندي[9].

2- تحرير المطالع لأسقلاوس الحكيم: عربه قسطا بن لوقا، وأصلحه الكندي[10].

وذكر الأستاذ فؤاد رشيد[11]، أنّ لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي ترجمه صدر كتاب أوقليدس موجود في معهد المخطوطات العربية بجامعة الدّول العربية.

ترجمة المناظر ذكر الدّكتور ذبيح الله صفا[12] أنّه يوجد هذا الكتاب الّذي أصلحه الكندي في خزانة المجلس بطهران.

الميامر لأرسطو -ونقل الأستاذ محمّد أسعد طلس[13] أنّه يوجد هذا الكتاب- وهو في القول على الرّبوبية فسره فرفوريوس الصّوري، ونقله إلى العربية عبد المسيح بن عبد الله النّاعمي الحمصي، وأصلحه الكندي لأحمد بن المعتصم، في خزانة مكتبة الأوقاف العراقية.

---

(1) زبدة الصّحائف في أصول المعارف: ﷺ.

(2) خزائن الكتب العربية: ﷺ.

(3) تاريخ الأدب العربي: ﷺ.

(4) التّراث اليوناني في الحضارة الإسلامية: ﷺ- ﷺ.

(5) تاريخ آداب اللغة العربية: ﷺ/ﷺ.

(6) تاريخ الإسلام: ﷺ/ﷺ.

(7) الفهرست: ﷺ، ﷺ، ﷺ.

(8) الذّريعة إلى تصانيف الشّيعة: ﷺ/ﷺ/ﷺ.

(9) جاء في «مختصر تاريخ ابن العبري: ﷺ» أنّه وجد في كتاب عتيق سرياني مجهول أنّ أوطولوقيوس المهندس اليوناني عرف في زمان بختنصر، وكان مشهوراً في وقته له كتاب الكرة المتحركة، أصلحه الكندي، والظّاهر أنّه نفس هذا الكتاب الّذي يذكره الشّيخ آغا بزرك، راجع «ابن النّديم: ﷺ».

(10) ذكر الدّكتور ذبيح الله صفا في «تاريخ علوم عقلي در تمدن إسلامي: ﷺ/ﷺ» أنّه يوجد كتاب «المطالع أبسقلاوس» أصلحه الكندي، نسخة في مكتبة الإمام الرّضا(ع) بمشهد ﷺ/ﷺ- ﷺ، ودار الكتب المصرية، ومكتبة برلين.

(11) فهرست المخطوطات المصورة: ﷺ/ﷺ.

(12) تاريخ علوم عقلي در تمدن إسلامي: ﷺ/ﷺ.

(13) الكشاف عن مخطوطات خزائن الأوقاف «ببغداد»: ﷺ/ﷺ.

جغرافية بطليموس قال الأستاذ محمّد ياسين الحموي[1]: إنّ الكندي نقل هذا الكتاب إلى العربية ولم تصلنا ترجمته.

وإننا لو حاولنا استقصاء ما ترجمه لنا فيلسوف العرب من الآثار الأجنبية لكان من العسير أن نصل إلى الأرقام الصّحيحة، ذلك لأنّ تراثه لم يصلنا مع كلّ الأسف بسبب ضياع الكثير منه.

ولكن إذا فقدنا دوره كمترجم -بالضّبط- وبقي لدينا مجهولاً من هذا الجانب، فقد وصل إلينا بأنّ الكندي -كما يعتقد آدم متز[2]- من رؤساء حملة العلم اليوناني بين العرب.

ولقد تأثر فيلسوفنا بالرّوح العلمية اليونانية في أغلب ما أنتجه من مؤلفات، وفي هذا الصّدد قال الأستاذ بدوي[3]: «ولكنه كتب معتمداً في الغالب على التّراجم السّريانية لعلوم الأوائل قرابة ثلاثمائة كتاب من تآليفه هو في الطّب، والفلسفة الأرسطالية، والفيثاغورية المحدثة، والأفلاطونية المحدثة، وفي الرّياضيات، والبصريات، وفي الفلك، والآثار العلوية، والموسيقى، والسّياسة الدّينية، والأخلاق وغيرها، وعن هذا الطّريق ساعد على أن يفتح للعرب الطّريق إلى علوم الأوائل، كما هي الحال في التّراجم، ولم ينشر حتّى الآن من كتبه إلا الشّيء القليل».

هل للكندي شخصية فلسفية؟

ماذا نريد «بالشّخصية الفلسفية» نريد الأصالة في التّفكير الفلسفي، والموضوعية في عرض الآراء، سواء كانت نتائج ذلك التّفكير متفقة، أو مختلفة مع الآخرين.

والكندي أمام هذا المقياس في خطين متوازيين: فبعض من كتب عنه يجعله سابقاً للزمن في قسم من آرائه[4]، وبعض آخر يجعله صدى لمن كان قبله من المفكرين[5]، ولا نجد بين هذا وذاك سوى يسير من الكتاب وضعه في موضعه بين الفلاسفة.

وهذا الاختلاف في تقييم فلسفته، والنّظرة إلى آرائه اختلاف طبيعي، ذلك لأنّ الكندي كان وليد عصر مفعم بآراء فلسفية، أسبغ عليها المعتزلة كثيراً من آرائهم المعمقة كما شارك فيها بعض المفكرين من أصحاب المذاهب، كما كان عصره مليئاً بتلك الأفكار اليونانية المنحدرة من آثار سقراط وأفلاطون، وأرسطو.. وكان الكندي -كما يؤكد ذلك تاريخه- ملماً بكلّ تلك الأفكار الشّائعة في ذلك العصر.

والشّيء الّذي نريد الوصول إليه من هذا هو أنّ لكلّ وجهة من وجهات النّظر في تقييم فلسفته ما يبررها في تاريخه، وفي آرائه.

لقد مثل الكندي[6] «النّقلة الفكرية» من الكلام إلى الفلسفة ويوضح الشّهرزوري هذه النّقلة بقوله: «إنّ الكندي، وإن كان يسمى فيلسوف العرب فهو يمثل دور الانتقال من الكلام إلى الفلسفة الخالصة كما نراها عند الفارابي» ومعنى هذا أنّ بعض الآراء الكلامية كانت مسيطرة عليه، فكان يلتقي مع المعتزلة في أكثر من مسألة فلسفية، ومن أبرزها «حدوث العالم» الّتي كان دليله الفلسفي عليها هو نفس دليل المعتزلة، وإلى جانب هذا فهو يلتقي في بعض آرائه مع أفلاطون، وفي البعض الآخر مع أرسطو، وفي ثالث مع غيرهما من الفلاسفة.

وإذن فما هو موضعه من تلك الأصالة، الّتي يجب توفرها في شخصية الفيلسوف؟ وما هو المظهر الفكري لتلك الأصالة؟

والجواب على هذا -في نظرنا- هو أنّ أصالة الرّأي عند الكندي لا تستقر في كثرة ما نشر من رسائل، ولا في ادعاءات بعض المعجبين به، بل هي -بكلّ ثقة وبكلّ بساطة- تستقر في ذلك المنهج الّذي ارتضاه لنفسه في عرض الآراء، وفي القدرة على التّوفيق بينها وانتقاء، وتبنى ما يرتضيه منها.

هو ذلك الّذي أشار إليه الأستاذ مصطفى عبد الرّازق بقوله: «والأشبه أن يكون الكندي قد بنى مذهبه على ما صح في نظره من الآراء المختلفة من غير تقيد بما نسب لأفلاطون، ولا بما نسب لأرسطو بيد أنّه كان بلا شك يراهما أمامي هذا الشّأن»[7].

وهو ذلك الّذي أوضحه «بروكلمان» بقوله: «إنّ نشاط الكندي الفكري لم يقتصر على تعريف مواطنيه بالفلسفة الأرسطوطاليسية، والأفلاطونية الجديدة من طريق التّرجمة، والاقتباس فحسب، بل عدا ذلك إلى توسيع آفاقهم العقلية، بما أخرج من دراسات في التّاريخ الطّبيعي، وعلم الظّواهر الجوية مكتوبة بروح تلك الفلسفة»[8].

---

(1) مجلة العلوم: ﷺ/س ﷺ وذكر ابن النّديم في «الفهرست: ﷺ» «كتاب جغرافيا لبطليموس» في المعمور وصفة الأرض وهذا الكتاب ثمان مقالات نقله الكندي نقلاً رديئاً.

(2) الحضارة الإسلامية: ﷺ/ﷺ

(3) التّراث اليوناني في الحضارة الإسلامية: ﷺ- ﷺ.

(4) رسائل الكندي: ﷺ/ﷺ/ﷺ

(5) تاريخ الفلسفة في الإسلام: ﷺ- ﷺ/ﷺ

(6) تاريخ الفلسفة في الإسلام: ﷺ/ﷺهامش ﷺ

(7) فيلسوف العرب: ﷺ

(8) تاريخ الشّعوب الإسلامية: ﷺ/ﷺ

وإذن فأصالته الفكرية مستقرة في ذلك المنهج المازج المختار الّذي يتطلب قدرة ذهنية يمكنها إخضاع الآراء المختلفة، وانتقائها، ويمكننا أن نلمس هذا المنهج في النّقاط التّالية:

أ- يؤكد الأستاذ «دي بور» على أنّ الكندي: «يحاول التّوفيق ما بين آراء أفلاطون، وأرسطو، ويبعد الخلاف فيما بينهما، فهو يحاول دائماً الإصلاح بين الرّأيين، ومزجهما في قالب واحد»[1]، والمثل على هذا هو ما نلاحظه في رسالته عن «النّفس» حيث انتهى فيها إلى أنّه ليس هناك خلاف في الحقيقة بين هذين الفيلسوفين فيما يخص النّفس[2].

وهذا القول يعطينا مدى قيمة رأي ابن أبي أصيبعة، وما فيه من الحقيقة إن كان يقصد من تعبيره تبعية الكندي لأرسطو في آرائه، يقول: «لم يكن في الإسلام فيلسوف غيره احتذى في تواليفه حذو أرسطوطاليس»[3].

ولعل قول ابن أبي أصيبعة هذا نتيجة لتأثره بالبحوث الّتي أفردها فيلسوفنا عن أرسطو، وهي ثلاث رسائل نجدها ضمن رسائل الكندي غير أنّ هذه الرّسائل، وإن كانت دليلاً على إعجاب فيلسوف العرب بأرسطو حتّى أنّه ادعى بأنّه لا يمكن أن يكون الإنسان فيلسوفاً بدون دراسة كتب أرسطو[4]، ذلك الإعجاب الّذي جعله -كما يقول الأستاذ إبراهيم مدكور[5]- أن «يأخذ في شرح كتب أرسطو لأوّل مرة في الإسلام شرحاً علمياً»، بل تعدى إلى أكثر من ذلك فقد نقل «دي بور» بأنّه لم يقتنع بمجرد ترجمة كتب أرسطو بل درس ما ترجمه منها وحاول إصلاحها وشرحها[6] ورغم هذا التّأثر الكبير فإنّ الكندي، لم يحاول أن يقتنع بكلّ ما قاله، بل إننا نجده يتفق مع أرسطو في الجوانب الفيزيقية من الفلسفة أي فيما يتعلق بالأفكار الأساسية في علم الطّبيعة.

ويختلف معه في المسائل الميتافيزيقية، خصوصاً مسألة قدم العالم والأصول الّتي ترتكز عليها، وفكرة الإلوهية، وصفاتها، وفعلها من حيث علاقتها بالكون، فبينما أرسطو يرى قدم العالم من حيث الزّمان، يرى الكندي حدوثه من العدم دفعة واحدة.

وإذا عرفنا طبيعة اللقاء بين الكندي، وأرسطو، نحاول أن نكشف طبيعة اللقاء بينه وبين أفلاطون، فهو يلتقي معه في بعض الآراء ويختلف معه في الكثير منها، وأوّل ما يلاحظ في التقائهما، هو هذا التّأكيد على أهمية الرّياضيات في دراسة الفلسفة، فبينما يرى أفلاطون: أنّ الباحث لا يبلغ الحكمة إلا إذا درس الرّياضيات[7]، يرى الكندي إنّ علم الفلسفة يبتنى على الرّياضيات، وبدونها فهو راوية للفلسفة ينقل الآراء الفلسفية[8]، أمّا في المجالات الفلسفية الأخرى فنرى بينهما اختلافاً فبينما يرى أفلاطون -مثلاً- حدوث العالم يختلف معه الكندي لا في أساس هذه المسألة، بل في تفاصيل هذا الحدوث فهو عند أفلاطون حدوث ذاتي، أي أنّه حادثة بطبعه، وهو عند الكندي حدوث إمكاني، أي أنّه محدث بإرادة مغايرة له.

وحين نصل إلى هذا الحد من معرفة طبيعة هذا اللقاء بينه وبين أفلاطون، فإنّ دي بور يذكر لنا لقاء فيلسوفنا مع سقراط - مثل الفلسفة اليونانية - يقول: إنّ المثل الأعلى عند الكندي هو سقراط[9] ولقاؤه مع سقراط -كما يتضح لنا- ليس أكثر من لقاء معجب بسيرته النّاصعة، أمّا ما اتخذه دي بور دليلاً على ذلك وهو الرّسائل الّتي ألّفها الكندي عن سقراط «حول محنته وآرائه»[10] فعلى الرّغم من فقدان هذه الرّسائل، نستطيع التّأكيد على أنّ لقاءه مع سقراط ليس أكثر من لقائه مع أرسطو، وأفلاطون لقاء المنتقد الّذي يحسن الانتقاد.

ب- يصف المؤرخون الكندي بأنّه: جمع بين الأفلاطونية الجديدة والفيثاغورية الجديدة.

فما هاتان المدرستان؟ وما هي نتائج هذا المزج بين آرائهما؟

يصف المختصون الفيثاغورية الجديدة بأنّها: نهضة عظيمة متعددة الوجهات فهي:

1- نحلة دينية.

2- وهي مذهب فلسفي يعد أوّل محاولة للارتفاع عن المادة الّتي وقف عندها الفلاسفة الايونيون، ولفهم العالم بقوانين واضحة.

---

(1) تاريخ الفلسفة في الإسلام: ﷺ.

(2) رسائل الكندي الفلسفية: ﷺ/ﷺ- ﷺ.

(3) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ﷺ/ﷺ.

(4) رسائل الكندي الفلسفية: ﷺ- ﷺ، «رسالة كمية كتب... وما يحتاج إليه في تحصيل الفلسفة».

(5) الفلسفة الإسلامية: ص ﷺ.

(6) تاريخ الفلسفة في الإسلام: ص ﷺ- ﷺ.

(7) سير ملهمة: ﷺ.

(8) رسائل الكندي: ﷺ.

(9) تاريخ الفلسفة في الإسلام: ﷺ.

(10) نفس المصدر والصّفحة، وقد حصر ابن النّديم «الفهرست: ﷺ» هذه الرّسائل في خمسة هي:

ﷺ- رسالة في خبر فضيلة سقراط.

ﷺ- في ألفاظ سقراط.

ﷺ- في محاورة جرت بين سقراط وارشيجانس.

ﷺ- في خبر موت سقراط.

ﷺ- في ما جرى بين سقراط والحرانيين.

3- وهي مدرسة علمية عنيت بالرّياضة والموسيقى والفلك والطّب.

4- وهي هيئة سياسية ترمي إلى إقرار النّظام على أيدي الفلاسفة[1].

أمّا الأفلاطونية الحديثة فهي:

1- محاولة لوضع فلسفة دينية، أو دين متفلسف.

2- مذهب يقوم على أسس أفلاطونية.

3- مدرسة تتبنى معظم المذاهب، والآراء الفلسفية حتّى السّحر والتّنجيم.

4- مدرسة تحرص على الاحتفاظ بالرّوح اليوناني خالصاً -أي العقلية العلمية الّتي تنظر إلى الوجود كأنّه هندسة كبرى-[2].

أمّا نتائج هذا اللّقاء، أو هذا المزج فهي:

1- ارتفاع الكندي عن المادة فقد فسر العالم، والمظاهر الكونية وجميع ما يتعلق بالوجود على أساس روحي موحد يختلف عن التّفسير الّذي أثر عن اليونانيين.

هذا وإن كنا نحتمل أوثق الاحتمال بأنّ هذا عائد إلى ثقافته العربية والإسلامية، وليس ألى نتيجة التّأثر بالفيثاغورية، أو الأفلاطونية ولا المزج بينهما.

2- بلورة كثير من المسائل الفكرية الّتي كانت محاطة بإطار ديني وبحثها على أساس فلسفي.

3- الاعتناء بالرّياضيات مما يوحي بأنّ فلسفته ذات جذور أفلاطونية.

4- الاحتفاظ بالعقلية اليونانية العلمية في تعاريف الفلسفة، وتفاسير كثير من آراء الفلاسفة.

وهذا دليل آخر على المنهج الفلسفي عند الكندي.

وإلى هنا نستطيع أن نخرج بما توخيناه من نتيجة لهذا العرض وهي أنّ الكندي كان فيلسوفاً، تستقر أصالته الفكرية، وعبقريته في منهجه الّذي أوضحناه في الصّفحات السّابقة، أنّه يتلخص في: محاولة المزج بين الآراء، والنّظر إليها نظرة موضوعية من جميع الجوانب، واتصافه بالمناعة الفكرية، ويكفي هذا في أن يكون في مقدمة من يمتازون بالأصالة الفكرية، والشّخصية الفلسفية بين الفلاسفة.

الرّياضيات وأثرها عنده

أنّ جذور النّظرية الرّياضية تمتد إلى الفلسفة اليونانية الأولى، ولكي نوضح الفكرة نرجع إلى أوّل مدرسة فلسفية نظرية وتلك هي المدرسة الايونية الّتي ذهبت إلى أنّ أصل الكون واحد، واختلفت في هذا الواحد ما هو؟ الماء، أو الهواء، أو النّار، أو أنّه شيء لا معين.

وعلى أعقابها انبثقت المدرسة الفيثاغورية، فقد رأت أنّ الأيونية تضع «الواحد» فوق الأعداد والموجودات، وتجعله مصدرها جميعاً فأعطت للعدد قيمته.

أضف إلى هذا أنّ فيثاغوراس كان رياضياً وموسيقياً، وكان من آثاره أنّه برهن على أنّ قوة الأصوات تابعة لطول الموجات الصّوتية.

فبين أنّ الأنغام تقوم خصائصها بنسب عددية، ويترجم عنها بالأرقام، ثمّ تطورت دراسة الفيثاغوريين للأعداد والأشكال والحركات والأصوات، وما بينها من تقابل عجيب وما لها من قوانين ثابتة، صرفت عقولهم إلى ما في العالم من نظام وتناسب «فرأوا أنّ هذا العالم أشبه بعالم الأعداد منه بالماء أو النّار، أو التّراب، وقالوا: إنّ مبادئ الأعداد هي عناصر الموجودات، وأنّ الموجودات أعداد، وأنّ العالم عدد ونغم»[3].

إنّ الفيثاغورية لم تتمثل العدد مجموعاً حسابياً، بل مقداراً وشكلاً ولم يكونوا يرمزون له بالأرقام بل كانوا يصورونه بنقط على قدر ما فيه من آحاد، ويرتبون هذه النّقط في شكل هندسي: فالواحد النّقطة، والاثنان الخط والثّلاثة المثلث، والأربعة المربع، وهكذا خلطوا بين الحساب والهندسة.

ولما كانت الأعداد -في رأيهم- هي كلّ شيء فقد اعتبروا أنّ العدد الكامل هو العشرة لأنّه مؤلف من الأعداد جميعاً، وحاصل على خصائصها جميعاً، فيلزم أنّ الأجرام السّماوية المتحركة عشرة «لأنّ العالم كامل وحاصل على خصائص الكامل»، ولكن لما كان المعروف المنظور منها تسعة فقط فقد وضعوا أرضاً غير منظورة مقابلة لأرضنا إلى أسفل ليكملوا العدد عشرة[4].

وهكذا بدأت عندهم الأعداد العشرة في مرتبة من الاعتبار بحيث أصبحت هي كلّ شيء في الوجود، وعناصر الوجودات مركبة منها، أمّا لماذا لم يتعدوا العشرة؟ فلأنّهم رأوا أنّ الأعداد لو تضخمت فمهما بلغت فهي تركب من هذه العشرة، وإذاً فأصل الأعداد هي العشرة.

وقد أثرت هذه النّظرية على قسم من الفلاسفة الإسلاميين -فيما يقال- كالكندي، والفارابي وامتد مفعولها إلى الفلاسفة المحدثين كاسبنوزا وديكارت.

أمّا كيف انحدرت هذه النّظرية إلى فيلسوفنا، وما هي ملامحها عنده؟ فهذا ما سنحاول أنّ نكشف عنه.

---

(1) تاريخ الفلسفة اليونانية: ﷺ.

(2) نفس المصدر: ﷺ.

(3) تاريخ الفلسفة اليونانية: ﷺ- ﷺ.

(4) نفس المصدر: ﷺ.

يصرح الكثير ممن ترجموا الكندي: أنّ فلسفته تنحصر في الرّياضيات، والفلسفة الطّبيعية الّتي تمتزج فيها الأفلاطونية بالفيثاغورية الجديدة[1].

واشتهر بالعلوم الرّياضية، حتّى اعتبره البيهقي وتابعه الشّهرزوري بأنّ الصّفة الأوّلى له هو كونه رياضياً مهندساً، وكاد يتفق تعبيرهما أنّه كان مهندساً خائضاً غمرات العلم[2].

فهل لهذه الشّهرة أصل في منابعه العلمية؟

يقول الكندي في رسالة «كمية كتب أرسطو»: إنّ الفيلسوف يحتاج إلى علم الرّياضيات[3]، والّتي يحددها بعلم العدد[4]، والهندسة، والتّنجيم، والتّاليف[5]، فإذا تمكن من دراستها وإتقانها فسيكون فيلسوفاً، وإلا فهو راوية إن كان حافظاً دون تمعن.

ولإيضاح فكرته نقرأ ما كتبه، يقول:

«فهذه أعداد ما قدمنا ذكره من كتبه الّتي يحتاج الفيلسوف التّام إلى اقتناء علمها بعد علم الرّياضيات، أعني الّتي هي علم العدد، والهندسة، والتّنجيم، والتّاليف، ثمّ استعمل هذه دهره لم يستتم معرفة شيء من هذه، ولم يكن سعيداً فيها مكسبه شيئاً إلا الرّواية، إن كان حافظاً فإمّا علمها على كنهها وتحصيله، فليس بموجود، إن عدم علم الرّياضيات البتة»[6].

وهو حين يذهب إلى هذا الرّأي في اعتماد الرّياضيات أساساً للفلسفة، فإنّه يلتقي مع بعض الفلاسفة اليونانيين الّذين يأخذون الرّياضيات بنظر الاعتبار.

وقد سبق لأفلاطون أن أكّد في غير موضع على الرّياضيات، وضرورة أن يلم بها الإنسان إذا أراد أن يكون فيلسوفاً، ولعلّ تقسيمه للمعرفة إلى ثلاثة مراحل، يشير إلى هذا المعنى.

فالمعرفة -عند أفلاطون- أوّلاً المعرفة الحسية، ثمّ المعرفة اليقينية، والّتي هي من مثل المعارف الرّياضية، وثالثاً المعرفة الحدسية وهي الّتي تنتهي «بالمثل»[7].

وأفلاطون أخف التزاماً من الكندي فهو لم يلتزم بكون الرّياضيات أساساً لبناء كيان فلسفته، كما يرى الكندي وإنّما اعتبرها للوصول من طريقها إلى آراء ثابتة، وحقائق لا تتغير، وإن شئت أن تقول أنّه كان يستعين بها للوصول إلى الحقائق الثّابتة في المجالات الّتي تطرقها الفلسفة، لا أنّها حقائق ثابتة يبتني عليها واقع ما تطرقه الفلسفة من مواضيع، ولعلّ الفرق بين الفيلسوفين: اليوناني، والعربي واضح في هذا التّقريب، وخاصة إذا علمنا أنّ الكندي قد وضع رسالة خاصة - وإن لم تصل إلينا - في أنّه «لا تنال الفلسفة إلا بعلم الرّياضيات»[8].

وفي هذا الحال فإنّهما معاً أخف وطأة من الفيثاغورية في النّظرية العددية، فالفيثاغورية -كما تقدم- تعتبر الرّياضيات أصل كلّ شيء في الوجود.

ولعلّ هذا التّأكيد الرّياضي في المنحى الفلسفي قد تسرب من فيلسوفنا إلى غيره من فلاسفة الإسلام كالفارابي، وما فكرة العقول العشرة عند المعلم الثّاني وغيره من الفلاسفة الإسلاميين إلا امتداد لهذه النّظرية كما يبدو لبعض الباحثين.

ويظهر أنّ فكرة اللجوء إلى الرّياضيات، وجعلها جسراً للفلسفة قد أثرت في بعض تآليف الكندي[9] فقد أغرم بها وكانت النّتيجة أنّه اعتبرها منهجاً له حتّى في أبحاثه الطّبية المتعلقة بالأدوية، كما اعتبرها في الموسيقى.

يقول دي بور[10] مشيراً إلى ذلك: «والواقع أنّه بنى فعل هذه الأدوية، كما بنى فعل الموسيقى على نسبة المتوالية الهندسية المتضاعفة، والأمر في الأدوية أمر تناسب في الكيفيات المحسوسة وهي: الحار، والبارد والرّطب واليابس، فإذا أريد أن يكون الدّواء حاراً في درجة 1° فلابدّ أن يكون له من الحرارة ضعف حرارة المزيج المعتدل، وإذا أريد أن يكون

(1) تاريخ الفلسفة في الإسلام: .

(2) نفس المصدر: ص نقل أبو ريدة في هامش « » نقلاً عن نزهة الأرواح، وراجع تتمة صوان الحكمة: .

(3) يوضح الكندي في «رسائل الكندي: » مقصودة من الرّياضيات فيقول: «أغنى علم العدد، والتّأليف، والهندسة، والتّنجيم الّذي هو علم هيئة الكل وعدد أجسامه الكليات وحركاتها، وكمية حركاتها، وما يعرض في ذلك من نوعه».

(4) ويشرح الكندي مراده من علم العدد نفس المصدر السّابق بأنّ «علم العدد بين أوّل لجميعها، فإنّ العدد إن ارتفع ارتفعت المعدودات».

(5) وبين الكندي معنى التّأليف في نفس المصدر السّابق « » بقوله: «فعلم التّأليف، فإنّه إيجاد نسبة عدد إلى عدد، وقرنه إليه، ومعرفة المؤتلف منه والمختلف وهي تبحث عن الكمية المضاف بعضها إلى بعض، أمّا في صناعة العدد، فإنّها تبحث عن الكمية المفردة».

(6) رسائل الكندي: - « » «رسالة كمية كتب أرسطو».

(7) مشكلات الفلسفة: - .

(8) الفهرست: .

(9) الخالدون العرب: ص .

(10) تاريخ الفلسفة في الإسلام: .

الدّواء حاراً في درجة 3° فلابدّ له من الحرارة أربعة أمثال حرارة المزيج المعتدل وهلم جراً».

وهذا الرّأي يعتبره دي بور من مبتكرات الكندي على الإطلاق ولم يسبق إليه على الرّغم من كونه خيالاً رياضياً، ولقد كان مثار إعجاب العلماء، ومحل تقدير عظيم، خاصة عند «كاردان- Gardan» -أحد فلاسفة عصر النّهضة في القرن السّادس عشر الميلادي- الّذي اعتبر «الكندي -لقوله بهذه النّظرية- واحداً من اثني عشر مفكراً هم أنفذ المفكرين عقولاً».

وإذا ألقينا نظرة على مؤلفاته نجد أنّ الرّياضيات تستأثر بالكثير منها، فقد ذكروا له مما يتصل بها ما يقارب المئة رسالة وكتاب في شتى أنواع الرّياضيات: كالحسابيات، والهندسيات، والفلكيات، والنّسبيات وغيرها[1].

ومن طريف المفارقات أن يحاول الكندي التماس أضعف المناسبات ليقحم الحديث فيها، ولنا على ذلك مثلاً، ما ذكره ابن النّديم[2] من محاولة فيلسوفنا في الرّبط بين القلم والنّفاع لاتحادهما في الأعداد الأبجدية قال: «القلم على وزن إيقاع، لأنّ الفاء ثمانون، والنّون خمسون، والألف واحد، والعين سبعون، فذلك مائتان وواحد، والقلم كذلك: الألف واحد، واللام ثلاثون، والقاف مائة واللام ثلاثون، والميم أربعون، فذلك مائتان وواحد».

ولعلنا سنجد في البحوث القادمة في دراستنا لفلسفته متسعاً للحديث حول هذا الموضوع.

في عالم الطّب

تكاد تجمع المصادر الرّئيسية -في عرض ترجمة الكندي- أنّه كان عالماً بالطّب، وذكروا له عدداً من المؤلفات في حقل الطّب.

وكان الطّب في ذلك الحين فرعاً رئيسياً من فروع الفلسفة، كما كان الطّبيب -في ذلك العهد- يجمع إلى علمه بالطّب معرفة بما وراء الطّبيعة «علم الإلهيات» والفلسفة والحكمة، ومن هنا يطلق على من يحوز هذه العلوم لقب الحكيم[3].

وقد شهد العصر العباسي نهضة علمية رائعة، كان حظ الطّب منها النّصيب الأوفر، فقد ترجمت مؤلفات أرسطو، وأفلاطون، وبقراط، وجالينوس، من عظماء اليونان وأطبائهم عل يد جهابذة ممتازين من المترجمين.

(1) الفهرست: ﷺ- ﷺ.
(2) نفس المصدر: ﷺ.
(3) تاريخ العرب «المطول»: ﷺ/ﷺ.

وكان الكندي واحداً من أولئك الأعلام المترجمين أمثال: حنين بن إسحاق، وقسطا بن لوقا، وثابت بن قرة الّذين خدموا الإنسانية بترجماتهم، وأفادوها بآثارهم العلمية الخالدة، واشتهر فيلسوفنا خاصة بأنّه «كانت له في الطّب والرّياضيات عصمة عن الخرافات والتّدجيل»[4].

وإذا دخل الكندي -في عرف المؤرخين- عالم الطّب كشخصية لها أثرها فما هي المقومات الّتي ترجح أن نقبل هذه الدّعوى؟

الشّيء الّذي نلاحظه أنّ المصادر الّتي بين أيدينا لم تذكر عن حياته الطّبية ما يقيم دليلاً سوى شذرات بسيطة يمكن أن تعكس منها أضواء توضح شخصية فيلسوفنا الطّبية.

المنبع الأوّل هو تراثه -والّذي يمكن أن نقطع به هي هذه الرّسائل المطبوعة الّتي بين أيدينا، وهي على سعتها يمكن أن ندعي أنّها خالية من آراء طبية نستطيع الاستناد إليها في أبحاثنا من جهة، والتّعريف بمؤلفها -كطبيب- من جهة أخرى، عدا فقرات قصيرة ترد في رسالته «في ماهية النّوم والرّؤيا».

لنقرأ له قطعة يتحدث فيها عن أثر النّوم، يقول: «ويعرض لمن دام سهره شدة اليبس، وغوؤر الاصداغ والعينين ويبس جلدة الوجه على العظم، وتقلص الشّفتين، وجمود الرّيق، كالّذي يعرض لمن استفرغ الدّواء، وبالباه، أو فناء الرّطوبة الغريزية الّتي فناها سبب الموت، لقلة ما تقوم به الطّبيعة من الهضم مع السّهر، إذ قوتها مقسومة للحس، ولجميع أفعال النّفس، حتّى أنّ من دام سهره وإن كثر غذاؤه سريع فناء الرّطوبة والموت، ومن كثر نومه من الأغذية الموافقة في إعانة النّوم على الهضم، عظم بدنه ورطب لكثرة الغذاء»[5].

وهذه الفقرة وأمثالها القلائل المنتشرة في ثنايا رسائله المنشورة تعرفنا أنّ عند صاحبنا معلومات طبية.

ثمّ نلتفت إلى قائمة مؤلفاته الّتي يعرضها ابن النّديم[6]، فنرى أنّه يعرض ما يقارب أربعة وعشرين كتاباً ورسالة في الطّب، وما يتصل به من علوم، وهذه المجموعة تبحث بعضها -كما توحي عناوينها- في الأدوية المشفية من الرّوائح المؤذية، وفي علة نفث الدّم، وفي الأمراض الحادة، وكيفية الدّماغ، وعلّة الجذام وأشفيته، وعلّة موت الفجأة، وفي وجع المعدة، والنقرس، وأقسام الحميات، وفي علاج الطّحال، وتدبير الأصحاء... وهكذا.

وقد لاحظ دي بور أنّ الكندي طبق الرّياضيات في أبحاثه الطّبية في نظريته المتعلقة بالأدوية المركبة -تلك الّتي مر

(4) تاريخ فلاسفة الإسلام: ﷺ.
(5) رسائل الكندي: ﷺ.
(6) الفهرست: ﷺ- ﷺ.

الحديث عنها في بحث الرّياضيات- والّذي يظهر من مجموع حديثه عنه، بأنّه يعتقد أنّ لفيلسوفنا يداً طولى في عالم الطّب[1].

وللفيلسوف المغربي ابن رشد نقد شديد وجهه للكندي في كتابه الكليات عند كلامه عن قوانين تركيب الأدوية، فقال: جاء بشناعات وهذيانات أدت إلى تخبط في علم الأدوية[2].

ولا نعرف مدى قيمة نقده إذ لم نطلع على أصول كتبه على أنّه ليس لدينا من المعرفة بطبيعة مواضيعها ما يخولنا الحكم فيها له أو عليه.

أمّا في المعالجات الطّبية فيذكر بعض المؤرخين لنا قصّةً - إن صحت - فإنّها تدل على تضلع كبير لفيلسوفنا في عالم الطّب، بالإضافة إلى اعتباره صاحب مدرسة طبية مزج فيها الموسيقى والطّب، ولعلها تدل -أيضاً- على سعته في عالم الموسيقى.

قال القفطي[3]:

«ذكروا من عجيب ما يحكى عن يعقوب بن إسحاق الكندي أنّه كان في جواره رجل من كبار التّجار موسع عليه في تجارته، وكان له ابن قد كفاه أمر بيعه وشرائه، وضبط دخله وخرجه، وكان ذلك التّاجر كثير الإزراء على الكندي، والطّعن عليه، مدمناً لتعكيره والإغراء به، فعرض لابنه سكتة فجأة، فورد عليه من ذلك ما أذهله وبقي لا يدري ما الّذي في أيدي النّاس، وما لهم عليه مع ما دخله من الجزع على ابنه، فلم يدع بمدينة السّلام طبيباً إلا ركب إليه واستركبه لينظر ابنه، ويشير عليه من أمره بعلاج، فلم يجبه كثير من الأطباء لكبر العلة وخطرها إلى الحضور معه، ومن أجابه منهم فلم يجد عنده كبير غناء.

فقيل له: أنت في جوار فيلسوف زمانه، وأعلم النّاس بعلاج هذه العلة فلو قصدته لوجدت عنده ما تحب فدعته الضّرورة إلى أن يحمل على الكندي بأحد أخوانه، وأصر عليه بالحضور، فأجاب، وصار إلى منزل التّاجر، فلما رأى ابنه، وأخذ مجسه، أمر بأن يحضر إليه من تلامذته في علم الموسيقى من قد أنعم الحذق بضرب العود، وعرف الطّرائق المحزنة والمزعجة، والمقوية للقلوب والنّفوس.

فحضر إليه منهم أربعة نفر، فأمرهم أن يديموا الضّرب عند رأسه، وأن يأخذوا في طريقة أوقفهم عليها، وأراهم مواقع النّغم بها من أصابعهم على الدساتين ونقلها، فلم يزالوا يضربون في تلك الطّريقة، والكندي آخذ بمجس الغلام وهو في خلال ذلك يمتد نفسه، ويقوى نبضه، ويرجع إليه نفسه شيئاً بعد شيء إلى أن تحرك ثم جلس وتكلم وأولئك يضربون في تلك الطّريقة دائماً لا يفترون.

فقال الكندي لأبيه: سل ابنك عن علم ما تحتاج إلى علمه مما لك وعليك وأثبته، فجعل الرّجل يساله وهو يخبره، ويكتب شيئاً بعد شيء فلما أتى على جميع ما يحتاج إليه غفل الضّاربون عن تلك الطّريقة الّتي كانوا يضربونها وفتروا فعاد الصّبي إلى الحالة الأوّلى، وغشيه السّكات فساله أبوه أن يأمرهم بمعاودة ما كانوا يضربون به.

فقال الكندي: هيهات إنّما كانت صبابة قد بقيت من حياته، ولا يمكن فيها ما جرى، ولا سبيل لي ولا لأحد من البشر إلى زيادة في مدة من قد انقطعت مدته، إذ قد استوفى العطية، والقسم الّذي قسم الله له».

وقد علق الدكتور محمّد يحيى الهاشمي[4] عليها بقوله:

«وإذا فاجأتنا اليوم الأخبار الحديثة بأنّه يوجد عدد من المستشفيات في أمريكا تعالج فيها الأمراض العصبية بواسطة الموسيقى فقط بعد التّشخيص، ووضع برنامج خاص للعلاج بالموسيقى قدرنا كشف الكندي الهائل».

ودلالة هذه الحادثة -على خبرته بالموسيقى- لا تقل أهمية عن دلالتها على خبرته في الطّب، ولإيضاح هذا الجانب يؤكد الدكتور فارمر أنّ الكندي له ضلع كبير في عالم الموسيقى، وفي الوقت نفسه مقدم على مؤلفي هذا الفن في العصر ذاك[5].

وإذا كان فيلسوفنا عالماً بهذه المثابة في عالمي الطّب والموسيقى فإنّ توصله في المعالجات الشّخصية المبتنية على أساس نفسي يعتبر فتحاً كبيراً في دنيا الاكتشاف العربي العلمي.

وقد ترجم الكثير من آثاره الطّبية إلى اللاتينية كما يذكر الدكتور ماكس مايرهوف[6] إذ يقول:

«أننا مدينون لجيرال في حقل الطّب بترجمات لمؤلفات ابقراط وجالينوس وجميع مترجمات حنين تقريباً وآثار الكندي، وقانون ابن سينا العظيم.

كما ندين لارنالد من مشاهير مترجمي الكتب الطّبية بإسبانيا بترجمة بعض كتب ابن سينا والكندي، وابن زهر وغيرهم».

والحقيقة أنّ الغرب استفاد من تراث فيلسوفنا أكثر مما استفاده العرب كما يصرح بذلك الدكتور عبد الرّحمن بدوي[7].

من مجموع ما مر له علينا نستطيع أن نكوّن فكرة عامة عن الكندي بأنّه كان ذا شخصية لامعة في عالم الطّب، ولكن

(1) تاريخ الفلسفة في الإسلام: ﷺ

(2) نفس المصدر والصّفحة هامش «ﷺ».

(3) أخبار الحكماء: ﷺ- ﷺ

(4) مجلة العرفان: الكندي يداوي بالألحان ﷺ/ﷺ

(5) تاريخ الموسيقى العربية: ﷺ- ﷺ

(6) تراث الإسلام: ﷺ/ﷺ

(7) التّراث اليوناني في الحضارة الإسلامية: ﷺ

تعيين هذا السّمو العلمي ليس من السّهل علينا الحكم به لفقداننا تراثه الّذي خلفه لنا والّذي يوقفنا على هذه الحقيقة التّقييمية، وهذه الشّذرات الّتي نقلناها لا تنهض دليلاً كافياً نعم إنّ هذه الحادثة الّتي أوردها القفطي -إن صحت- ربما يمكن أن يجازف في وضع درجة لسموه العلمي.

الكيمياء

من مآثر العرب في الحقل العلمي اكتشافهم علم الكيمياء:

وكلمة الكيمياء -كما يرى الصّفدي[1]- لفظة معربة من اللّفظ العبراني وأصله من كيم يه معناه أنّه من الله، والأشبه أنّها فارسية فمعنى كي ميا؟ متى تجيء على الاستبعاد.

ويقول الدكتور مايرهوف[2]: إنّها مشتقة -كما زعموا- من اللّفظة المصرية «كاميت» أو «كميت» ومعناها «الأسود»، وقيل: إنّها جاءت من اللّفظة «جيما chyma» ومعناها المعدن الذّائب، وقيل: حرف الإغريق لفظة كميت المصرية «كم: أسود، والتّاء للتّأنيث».

واستخدمها من سكن منهم الإسكندرية في عهد البطالسة للدلالة على الصّناعة الّتي اشتهر بها المصريون من قديم الزّمان.

إنّ الفروض الأساسية الّتي بنى عليها الباحثون المصريون واليونانيون هذا العلم هي ما يأتي:

1- المعادن كلّها بالأصل من معدن واحد فتحويل أحدها إلى الآخر ممكن.

2- الذّهب أنقى المعادن، يليه الفضة.

3- هنالك مادة في الإمكان جعلها عاملاً مساعداً لتغيير المعادن الرّخيصة إلى معادن نقية بصورة مستمرة.

قال الدكتور مايرهوف[3]: هذه المكتشفات كان لها قابلية لإثارة سلسلة من التّجارب لازمها لسوء الحظ ميل مفرط إلى التّجريد النّظري فضلاً عن أنّ بعض الميول الصّوفية المأخوذة من فلاسفة الأفلوطونية الحديثة، والمذهب الغنوصي في الإسكندرية المركز الثّقافي اليوناني وفي البلاد الخاضعة للحكم الإسلامي، كان لها تأثير قاطع جداً على الرّوح التّجريبية، فاضحت الكيمياء الّتي كانت بيد «جابر بن حيان» عبارة عن بحث علمي تجريبي.

الحقيقة أنّ العرب أسدوا إلى هذا العلم فضلاً كبيراً حيث بنوا دراساتهم الكيماوية على أساس التّجربة الأمر الّذي دفع بهذا العلم إلى التّقدم المحسوس، وهذه الخطوة الفاصلة في بلورة هذا العلم الّتي سجلت للعرب الفضل الكبير.

أمّا تاريخه: فقد نقل الصّفدي[4] بأنّ طلب الكيمياء أوّل ما ظهر في جبابرة قوم هود، وتعاطوا ذلك وبنوا مدينة من ذهب وفضة لم يخلق مثلها في البلاد.

وذكر الدكتور مايرهوف[5]: «لم يكن علم الكيمياء معروفاً قبل نهاية القرن الثّالث للميلاد، وأقدم ما وصلنا من الأخبار عن ذلك أمر أصدره الإمبراطور ديوكليتان سنة 396م يقضي بحرق كتب المصريين الكيمية».

لا يمكن الباحث أن يدعي أنّ هذا العلم عربي بحت، ولكن النّتائج العالية الّتي أعقبت اكتشافه من قبل المسلمين والعرب ساعدت على اعتبار اكتشافه من مآثر العرب العلمية، وإنّ الشّيء اللامع في الأمر أنّ المسلمين أدخلوا فكرة التّجربة العلمية، وهي خطوة عظمية إذا قورنت بنظريات الإغريق الكيميائية[6].

يقول درابر[7]: «إنّ العرب هم الّذين أنشأوا في العلوم العملية علم الكيمياء، وكشفوا بعض الأجزاء المهمة كحامض الكبريتيك، وحامض النّتريك والكحول، وهم الّذين استخدموا ذلك العلم في المعالجات الطّبية، فكانوا أوّل من نشر تركيب الأدوية والمستحضرات المعدنية».

وكان أبا الكيمياء العربية جابر بن حيان الّذي زها في الكوفة حوالي سنة 776م، وقد جاء أنّ الأمير الأموي خالد بن يزيد بن معاوية وجعفر الصّادق الإمام السّادس، هما معلماه[8].

وقد أيد غير واحد ومنهم ابن النّديم[9] أنّه تلمذ على يد الإمام الصّادق(عليه السلام) بعلم الكيمياء.

ومن هذا نفهم أنّ علم الكيمياء عربي، وأنّ الشّيء اللامع في الأمر أنّ العرب أدخلوا فكرة التّجربة العلمية وهي خطوة إلى الأمام إذا قورنت بنظريات «الإغريق» الغامضة ولجابر الفضل في أنّه أوّل الكيماويين الّذين أدركوا أهمية الاختبار العلمي وأكدوا عليه، وقد خطا خطوات واسعة في سبيل ترقية الكيمياء النّظرية والعلمية، وروى أنّه بعد مضي قرنين على

---

(1) الغيث المسجم في شرح لامية العجم: ﷺ/عليه السلام.

(2) تراث الإسلام: ﷺ/رضي الله عنه، وهامش الصّفحة نفسها.

(3) تراث الإسلامي: ﷺ/رضي الله عنه- رضي الله عنه.

(4) الغيث المنسجم في شرح لامية العجم ﷺ/عليه السلام.

(5) تراث الإسلام: هامش رضي الله عنه من ﷺ/رضي الله عنه- رضي الله عنه.

(6) تاريخ العرب «مطول»: ﷺ/رضي الله عنه/رضي الله عنه.

(7) العلوم عند العرب: ص رضي الله عنه.

(8) تاريخ العرب «مطول»: ﷺ/رضي الله عنه/رضي الله عنه.

(9) الفهرست: ﷺ/عليه السلام/رضي الله عنه.

وفاته عثر في الكوفة على مختبره الكيماوي فإذا فيه هاون وقطعة كبيرة من الذّهب[1].

وذكر طوقان[2]: «إنّ علم الكيمياء دخل أوربا مع أسماء عربية لا تزال باقية في مختلف اللّغات الإفرنجية، كما استخدموه في الطّب، والصّناعات، وفي صنع العقاقير، وتركيب الأدوية وتنقية المعادن وتركيب الرّوائح العطرية، ودبغ الجلود، وصبغ الأقمشة، وجاء في بعض مؤلفات جابر وصف لصنع الفولاذ، وصقل المعادن الأخرى».

وهذا موضوع الفخر والاعتزاز بأنّ للعرب المسلمين هذه المآثر فجابر ذلك المسلم الّذي تلمذ على يد الإمام الصّادق(عليه السلام) كان بحق «أبا الكيمياء العربية».

وبعد هذا فالكندي درس علم الكيمياء وتضلع فيه، ولكنّه لم يقتنع به، وخالف في العمل به، فقد حدثنا المسعودي[3]: «إنّه صنف رسالة في ذلك وجعلها مقالتين يذكر فيها تعذر فعل النّاس لما انفردت الطّبيعة بفعله، وخدع أهل هذه الصّناعة وحيلهم، وترجم هذه الرّسالة بإبطال دعوى المدعين صنعة الذّهب والفضة من معادنها».

وقد نقض هذه الرّسالة على الكندي أبو بكر محمّد بن زكريا الرّازي الفيلسوف -صاحب الكتاب المنصوري في صناعة الطّب- الّذي هو في عشر مقالات: وأرى القول أنّ ما ذكره الكندي فاسد.

وإنّ ذلك قد يتأتى فعله.

لقد رأى الكندي بعد دراسة وتمحيص أنّ الاشتغال بالكيمياء للحصول على الذّهب مضيعة للوقت والمال، في عصر كان يرى فيه الكثيرون غير ذلك، وذهب إلى أبعد من ذلك فقد اعتقد أنّ عمل الكيميائيين لا يخلو من خداع[4].

وقد ذكر ابن النديم[5] أنّ للكندي رسالة في التّنبيه على خداع الكيمائيين.

ويشرح دي بور فكرة الكندي عن هذا العلم فيقول: «ضرب الكندي صفحاً عن فلسفة عصره الّتي كانت تنزع إلى كشف الأسرار، واشتد في ذلك، بأن أعلن أنّ الكيمياء علم خادع زائف، وقال: إنّ الإنسان لا يقدر على أن يحدث الأشياء الّتي لا تقدر على إحداثها الطّبيعة والرّجل الّذي يشتغل بتجارب الكيمياء هو -في رأي الكندي- يخدع النّاس أو يخدع نفسه»[6].

وليس معنى هذا أنّ فيلسوفنا لم يعمل في هذا العلم، فإنّ بعض مؤلفاته تدل على سعة الاطلاع فيه وقد قال الدكتور عمر فروخ[7]:

«بحق كان الكندي أبا الكيمياء الحديثة».

وما أدري كيف يلتئم قوله هذا مع ما عرف عن الكندي من التّنكر لهذا العلم وإيمانه بتعذر فعل النّاس مما انفردت به الطّبيعة وخداع القائمين على هذا العلم.

وأمّا في علم المعادن وهو القرين لعلم الكيمياء فله كتاب الجواهر والأشباه فقد قال عنه البيروني[8]: «ولم يقع إلي من هذا الفن غير كتاب أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي الّذي قد افترع فيها عذرته وظهر ذروته كاختراع البدائع في كلّ ما وصلت إليه يده من سائر الفنون فهو أمام المحدثين وأسوة الباقين».

ولقد ذكر ابن النّديم[9] له في ثبت مؤلفاته رسائل في أنواع الجواهر الثّمينة وغيرها.

البصريات

وهذا الاصطلاح يمكن أن نعتبره «جديداً» وإن كان علمه قديماً بدأ بالكندي، وبلغ أوجه عند ابن الهيثم، وهو يدور حول مباحث الضّوء، والظّواهر الجوية، وقد أطلق عليه القدماء اسم «علم المناظر» أو «علم المرئيات».

وقد جاء في التّعريف الحديث «للبصريات»: بأنّها الدّراسة العلمية لظاهرة النّور والرّؤيا، أي الظّلال الّتي تلقيها الأجسام الغبشة، غير الشّفافة والصّور الّتي تتكون في المرايا، والعدسات، والمجاهر، والتلسكوبات، وأجهزة التّصوير....

و«البصريات الهندسية»: هي معالجة أشعة النّور باعتبارها خطوطاً مستقيمة بدون النّظر إلى حركة الموجة الكهرمغنطيسية «نظرية اينشتاين» وانعكاسها وانكسارها وما يلازم ذلك من امتصاصها، وتطبيق ذلك في المرايا والعدسات[10].

---

(1) تاريخ العرب «مطول»: عليه السلام/رضي الله عنه رحمه الله.
(2) العلوم عند العرب: رضي الله عنه رحمه الله.
(3) مروج الذّهب: رضي الله عنه/رضي الله عنه رحمه الله.
(4) الخالدون العرب: رضي الله عنه رحمه الله.
(5) الفهرست: رضي الله عنه رحمه الله.
(6) تاريخ الفلسفة في الإسلام: رضي الله عنه رحمه الله عليه.
(7) مجلة العلوم: عليه السلام/رضي الله عنه رحمه الله.
(8) الجماهير في معرفة الجواهر ص عليه السلام رضي الله عنه- عليه السلام رضي الله عنه.
(9) الفهرست: رضي الله عنه رضي الله عنه رحمه الله.
(10) الموسوعة العربية: عليه السلام رضي الله عنه رحمه الله.

قال الأستاذ طوقان[1]: «ولا أكون مبالغاً إذا قلت أنّه لولا البصريات، ونتائج العرب فيها لما تقدم علما الفلك، والطّبيعة تقدمهما العجيب».

إنّ هذا العلم انحدر إلى العرب من أصل يوناني، فقد استمد منابعه من تراث إقليدس وبطليموس، وأرسطو، وهيرون، وكان فيلسوفنا من الرّواد الأوائل لهذا العلم، فقد كان في عهده يمثل دور الظّهور، وما إن وصل الزّمن إلى ابن الهيثم محمّد بن الحسن –العالم الهندسي المعروف من رجال القرن الخامس– إلا وازدهر وعظم شأناً ورفعة وأثراً حتّى أنّ مؤلفات ابن الهيثم خاصة كانت المرجع والمعتمد عند أهل أوربا حتّى القرن السّادس عشر للميلاد[2].

ويكفي أنّ اسم العرب المسلمين اقترن باليونانيين في هذا المضمار، فقد قال البستاني: «وقد تقدم قدماء اليونانيين والعرب كثيراً في معرفة البصريات، وعلى الخصوص باكتشاف ناموس الانعكاس وما يبنى عليه فتوصلوا إلى معرفة أشعة النّور وأنّها تمر عادة على خطوط مستقيمة...الخ»[3].

إنّ هذا العلم الّذي هو جزء من علم الفيزياء اهتم به العرب منذ أن اهتموا بالفلسفة الصّحيحة منذ أيام الكندي المتوفى «870م» بقليل، فقد ألف كتاباً في اختلاف المناظر، وآخر في اختلاف مناظر المرآة ولعله ألف غيرهما في هذا الموضوع ولم تصلنا[4].

لقد تقدم القول بأنّ هذا العلم ينقسم إلى قسمين:

أولاً– علم المناظر:

وعرف بأنّه: علم يعرف منه أحوال البصريات في كميتها وكيفيتها باعتبار قربها وبعدها عن النّاظر واختلاف أشكالها وأوضاعها، وما يتوسط بين النّاظر والمبصرات وغلظته ورقته وعلل تلك الأمور.

ومنفعته: معرفة أحوال الأبصار، وتفاوت المبصرات، والوقوف على سبب الأغاليط الحسية الواقعة فيها ويستعان بهذا العلم على مساحة الأجرام البعيدة والمرايا المحرقة أيضاً[5].

ثانياً– علم المرايا المحرقة:

ويعرف منه أحوال الخطوط الشّعاعية المنعطفة والمنعكسة والمنكسرة ومواقعها وزواياها ومراجعها وكيفية عمل المرايا المحرقة بانعكاس أشعة الشّمس عنها ونصبها ومحاذاتها.

ومنفعته: بليغة من محاصرات المدن والقلاع، وكان القدماء تعمل المرايا من أسطحة مستوية، وبعضهم من مقعر كرة إلى أن ظهر دنوفلس، وبرهن على أنّها إذا كانت أسطحتها مقعرة بحسب القطع الكافي فإنّها تكون في نهاية القوة والإحراق[6].

وذكر طوقان[7]: أنّ الكندي أخرج رسائل في البصريات والمرئيات، وله فيها مؤلفات لعله من أروع ما كتب، وهو يلي كتاب الحسن بن الهيثم مادة وقيمة، وقد انتشر هذا الكتاب في الشّرق والغرب وكان له تأثير كبير على العقل الأوربي كما تأثر به باكون، وواتيلو[8].

يقول الدّكتور حتّي[9]: ومن كتبه الّتي انتشرت في الشّرق والغرب مؤلفه الفريد في علم البصريات، وهو يستند إلى مؤلف إقليدس في هذا العالم.

ولقد نشر الأستاذ أبو ريدة[10] رسالة للكندي في مجموعته الفلسفية المطبوعة في الجزء الثّاني بعنوان رسالته «في علة اللون اللازوردي الّذي يرى في الجو في جهة السّماء ويظن أنّه لون السّماء»، وتقع هذه الرّسالة في ست صفحات تكلم فيها عن تفاوت الأجسام المستضيئة بحسب قابليتها لأن تعكس الضّوء، والضّوء الّذي نراه في الجو ضوء منعكس من الذّرات البخارية والأرضية الّتي يحملها الهواء، وإذا تجاوزنا طبقة الهواء الحامل لهذه الذّرات، انعدم ما يعكس الضّوء وكان الظّلام.

كما أنّه له رسالة في الشّعاعات الشّمسية[11]، ذكرها بعض الكتاب وأنا لم أطلع عليها.

وكيفما كان فإنّ فيلسوفنا بمؤلفاته في علم البصريات كان لها أثرها في الغرب خاصة، وتأثر بها مصنفو هذا الفن.

الفلك

وهذا العلم انحدر للعرب من اليونان والفرس والهند، والكلدان والسّريان، ويرجح الباحثون أنّ أوّل كتاب في هذا المضمار ترجم عن اليونانية إلى العربية، كان في زمن

(1) العلوم عند العرب: ﷺ.

(2) العلوم عند العرب: ﷺ، نقلاً عن البصريات للأستاذ مصطفى نضيف.

(3) دائرة المعارف للبستاني: ﷺ/ﷺ.

(4) عبقرية العرب في العلم والفلسفة: ﷺ.

(5) مفتاح السّعادة: ﷺ/ﷺ.

(6) مفتاح السّعادة: ﷺ/ﷺ.

(7) العلوم عند العرب: ﷺ.

(8) «روجر بيكون» من القرن الثّالث عشر، ومن مشاهير القرون الوسطى، وهرقس انجليزي من المختصين بهذا الفن، وكذلك «وايتلو» الهولندي ظهر في ألمانيا وألف في مدينة بادوا الإيطالية عام ﷺ.

(9) تاريخ العرب «الموجز»: ﷺ.

(10) رسائل الكندي: ﷺ/ﷺ.

(11) تذكرة النّوادر من المخطوطات العربية: ﷺ- ﷺ.

الأمويين قبل انقراض دولتهم في دمشق بسبع سنوات ومن المحتمل أن يكون الكتاب الأوّل هو ترجمة لكتاب عرض مفتاح النّجوم المنسوب إلى هرمس الحكيم، وقد وضع على تحاويل سنى العالم وما فيها من الأحكام النّجومية[1].

ولإيضاح هذا الأمر نرى أنّ دراسة الفلك في الإسلام -كما يعرضها الدّكتور حتّى- بدأت تحت تأثير كتاب هندي «السّد ذانتا» واسمه «السّند هند في العربية» جيء به إلى بغداد «771م» فترجمه محمّد بن إبراهيم الفزاري، واتخذه العلماء بعد ذلك مثالاً يحتذونه.

أمّا التّقاويم البهلوية «زيك» الّتي وضعت في الحقبة السّاسانية فقد عربت الآن وأضيفت إلى العلوم الرّياضية، وعرفت التّقويم في العربية بالزّيج.

وفي أوّل عهد التّرجمة نقل كتاب المجسطي لبطليموس، ثمّ ظهر بعدئذ بترجمتين أكثر إتقاناً ودقة على يد الحجاج بن مطر «212هـ» وعلى يد حنين بن إسحاق.

وفي مطلع القرن التّاسع تمت أوّل الأرصاد المنظمة وأضاف المأمون إلى بيت الحكمة في بغداد مرصداً فلكياً وعهد بإدارته إلى سند بن علي، ويحيى بن منصور[2].

إنّ أوّل من اعتنى بهذا العلم من الخلفاء هو أبو جعفر المنصور -الخليفة العبّاسي الثّاني- فقد بلغ اهتمامه به إلى درجة أن جعل معظم وقته يصرفه في هذا الموضوع، وتقدم في عهد العبّاسيين تقدماً محسوساً بحيث وجه أنظار النّاس إليه.

أضف إلى ذلك حاجة المسلمين له: كتعيين أوقات الصّلاة، وموضوع هلال رمضان، وموقع بعض البلدان المقدسة.

وشيء ثالث كان عاملاً في توجيه النّاس إليه، هو استشارة المنجمين في أمورهم الدّنيوية فكانوا ينظرون في حال الفلك واقترانات الكواكب، ثمّ يسيرون على مقتضى ذلك، وكانوا يعالجون الأمراض على مقتضى حال الفلك يراقبون النّجوم ويعملون بأحكامها قبل الشّروع في أغلب أعمالهم، وحتّى تصل النّوبة إلى الطّعام والزّيارة[3].

تقدم المسلمون والعرب نتيجة لهذه الأسباب تقدماً محسوساً في هذا العلم حتّى أنّ الدّكتور صروف ينقل: إنّ خمسين في المائة من أسماء النّجوم الموجودة فيه هي من وضع العرب ومستعملة بلفظها العربي في اللغات الإفرنجية، وبلغت شدة ولوع العرب والمسلمين بهذا العلم درجة جعلت بعضهم يضع في بيته هيئة السّماء وخيل للناظرين فيها النّجوم والغيوم والبروق والرّعود..

ولقد أولاه المسلمون عنايتهم التّامة، فتعمقوا في دراسته وطهروه من أدران التّنجيم والخزعبلات، وأرجعوه إلى ما تركه علماء اليونان علماً رياضياً مبنياً على الرّصد والحساب وعلى فروض تفرض لتعليل ما يرى من الحركات والظّواهر الفلكية[4]..

وكان الكندي من أولئك الأفراد الّذين كانوا لا يؤمنون بأثر الكواكب على الإنسان، ولا بالتّنبؤات القائمة على حركات الأجرام ومع هذا فابن خلدون[5] يروي بأنّ الكندي «كان منجماً للرشيد والمأمون» وربما كان صاحبنا متحفظاً في موقفه مع الخليفتين في شؤون التّنجيم.

ولعل طوقان يؤيد هذا المعنى بقوله: «ومن دراسة لرسائله في العلة الغريبة الفاعلة للكون والفساد» يتجلى أنّه كان بعيداً عن التّنجيم لا يؤمن بأنّ للكواكب صفات معينة من النّحس والسّعد، أو من العناية بأمم معينة، وهو حين يبحث في العوامل الكونية، وفي «نظرية الفعل» وأوضاع الأجرام السّماوية يبدع ويكون «العالم» بمعنى الكلمة الدّقيق.

فقد لاحظ أوضاع الكواكب، وخاصة الشّمس والقمر بالنّسبة للأرض وما لها من تأثير طبيعي وما ينشأ عنها من ظاهرات يمكن تقديرها من حيث الكم والكيف، والزّمان والمكان، وأتى بآراء خطيرة جريئة في هذه البحوث، وفي نشأة الحياة على ظهر الأرض مما دفع الكثير من العلماء إلى الاعتراف بأنّ الكندي مفكر عميق من الطّراز الحديث[6].

ولقد ذكر ابن النّديم تسعة عشر كتاباً لفيلسوفنا في النّجوم، وستة عشر كتاباً في الفلك[7] كما أنّ في رسائله الفلسفية المطبوعة رسائل متعددة تدور مباحثها بطرق مباشرة وغير مباشرة حول المواضيع الفلكية وهي:

1- رسالة في إيضاح تناهي جرم العالم 1/186- 192.

2- في الإبانة عن سجود الجرم الأقصى 1/244- 261.

3- في الإبانة عن أنّ طبيعة الفلك مخالفة لطبائع العناصر الأربعة 2/40- 46.

4- في أنّ العناصر والجرم الأقصى كروية الشّكل 2/48- 53.

5- في الجرم الحامل بطباعه اللون من العناصر الأربعة والّذي هو علة الكون 2/64- 68.

---

(1) العلوم عند العرب: ﷺ.

(2) تاريخ العرب «مطول»: ﷺ/ﷺ- ﷺ.

(3) العلوم عند العرب: ﷺ.

(4) العلوم عند العرب: ﷺ نقلاً عن «بسائط علم الفلك».

(5) تاريخ ابن خلدون «المقدمة»: ﷺ/ﷺ.

(6) الخالدون العرب: ﷺ- ﷺ.

(7) الفهرست: ﷺ- ﷺ.

6- في علة اللون اللازوردي الّذي يرى في الجو في جهة السّماء 103/2- 108.

وفي هذه الرّسائل نرى لمعاً فلكية لها قيمتها العلمية وإن لم يكن بعضها مؤلفاً لهذا الغرض.

ولا ينكر أنّ هذا العلم زها على يد محمّد بن جابر البتاني بين عام «877 و918م» وهو بلا جدال أعظم فلكي في قومه وعصره، بل هو من أعاظم علماء الفلك في الإسلام، وكذلك برز في التّنجيم أبو معشر البلخي «886م» ومحمّد بن موسى الخوارزمي «780- 850م»[1].

وإذ رأينا أنّ فيلسوفنا قد كان من اللامعين القدماء الّذين وضعوا لبنة الأساس لهذا العلم نراه قد امتاز على غيره من علماء هذا الفن بأنّه طهر هذا العلم من أدران الخرافات والخزعبلات، ووضعه على أساس رياضي منزه عن كلّ ما يبعده عن واقع العلم.

الجغرافيا

كلمة الجغرافيا مركبة من كلمتين يونانيتين وهما «جيه» أي أرض و«غرافيا» أي أنا أرسم، وهو علم: الغرض منه وصف الأرض ودرس الحوادث الّتي تحدث على سطحها وتقسيماتها المتفق عليها[2].

نقل علم الجغرافيا من اليونان بواسطة علماء العرب آنذاك، وفي جملتها كتاب بطليموس وعليه معولهم في تقويم البلدان.

ولم يكن هذا العلم -بوصفه علماً- معروفاً عند العرب، وإن كانت لديهم نتائج هذا العلم من معرفة الطّرق والبلدان، وجملة من خصائصها الدّقيقة حتّى قال البروفيسور كرامرز[3] لقد وصلت إلينا أخبار غريبة عن صحابة الرّسول(ﷺ) بخصوص سعة الأرض وأقاليمها، ومنابع النّيل، وهلم جرا وفيها مقارنة الأرض «بطائر» رأسه في الصّين وذيله ينتهي في شمالي أفريقية، وفي القرآن الكريم إشارة جغرافية في آيتين كريمتين منه عن كيفية فصل الله البحرين بحاجز لا يمكن اقتحامه وهما:

الأولى: ﴿**رب المشرقين ورب المغربين، فبأي آلاء ربكما تكذبان، مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا يبغيان**﴾[4].

الثانية: ﴿**وهو الذي مرج البحرين، هذا عذب فرات، وهذا ملح أجاج، وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً**﴾[5].

تناول المفسرون هذه الآيات باعتبارها إشارة إلى البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي بما فيه البحر الأحمر، التفسير الذي ربما اقترب من الصحة.

ولما ترجمت الآثار الجغرافية إلى العرب، واطلع المسلمون عليها نسجوا مؤلفاتهم على ضوئها وتوسعوا في ذلك.

يحدثنا أدم متز[6] في بحثه عن الجغرافيا فيقول: «كان البحث في أحوال الأقاليم وليد النهضة العلمية التي ظهرت في القرن الثالث الهجري، وأول ما كان من ذلك كتب الكندي - كما ذكر المسعدوي».

ويرى الدكتور فيليب حتّي ورفيقاه[7] أن الكندي في مقدمة ناقلي هذا العلم من الترجمة اليونانية ولقد: «نقلت جغرافية بطليموس إلى العربية مراراً أما اليونانية مباشرة أو عن الترجمات السريانية، ومن أهم من نقلها يعقوب بن إسحاق الكندي قبل سنة 874م، وثابت بن قرة المتوفى سنة 901م».

ولقد سبق الكندي من علماء العرب من ألّف في تقويم البلدان العربية وهم: النضر بن شميل ألف كتاب الصفات في خمسة أجزاء، وعده بعض الباحثين من كتب تقويم البلدان وقال: أنه موجود في بعض المكتبات العربية.

ومنهم هشام بن محمد الكلبي المتوفى (204 أو 206 هـ) ألّف كتاب البلدان الكبير، وكتاب البلدان الصغير، وكتاب الأقاليم، وكتاب الأنهار.

ومنهم عبد الملك بن قريب الأصمعي (214هـ) ألّف كتاب جزيرة العرب.

ونستطيع أن نسمي ما كتبوه في هذا الباب بالجغرافيا الخاصة لأنه اختص ببقاع معينة هي بقاع الجزيرة العربية ببادیتها وحاضرتها.

وفي القرن الثالث الهجري وما بعده خطا التأليف الجغرافي عند المسلمين خطوته العالمية فطفق الجغرافيون يؤلفون في تقويم البلدان ويصفون أجزاء الإمبراطورية الإسلامية وما يجاورها من الأقاليم وصفاً علمياً منظماً، قائماً على المشاهدة والدراسة العملية[8].

ولقد نشرت رسائل لفيلسوفنا ضمن رسائله الفلسفية المطبوعة في الجزء الثاني، وتكاد تكون جميعها في المعارف الجغرافية بالمعنى العام.

ويتحدث عنها الأستاذ أبو ريده[9] قائلاً: «فكلها في مسائل جغرافية بالمعنى العام، وفيها نجد الكندي يعرض المسائل الجغرافية عرضاً علمياً قائماً على المشاهدة ومتجهاً إلى

---

(1) تاريخ العرب «المطول»: ﷺ/ﷺ/ﷺ.

(2) دائرة معارف القرن العشرين: ﷺ/ﷺ/ﷺ.

(3) تراث الإسلام: ﷺ/ﷺ/ﷺ.

(4) سورة الرحمن : 17 - 20 .

(5) سورة الفرقان : 52.

(6) الحضارة الإسلامية : 1.

(7) تاريخ العرب (المطول) : 468 / 2.

(8) مجلة المجمع العلمي العراقي : 49 - 68 / المجلد الثاني.

(9) رسائل الكندي : 19 / 2

استخلاص ما يمكن استخلاصه منها، وقد يكون ذلك ما لا يتفق تمام الاتفاق مع ما أشره تقدم علم الجغرافيا الحديث من معارف.

ولذلك فلا بد من دراسة هذه الرّسائل، مع مراعاة زمان تأليفها ومراعاة الظّروف الجغرافية المحلية في البلاد الّتي كانت الملاحظة منصبة عليها، وهذا له من غير شك قيمة كبيرة فيما يتعلق بتاريخ الآراء الجغرافية -خصوصاً عند العرب-كما كان يتصورها فيلسوف وعالم، يعد من أكبر ممثلي الفكر العربي في عصره، وإلى ما بعد عصره بقرون وهذا ما نتركه لعلماء الجغرافية الحديثة، بعد أن قدمنا لهم الرّسائل على قدر ما في وسعنا من ضبط نصها وإخراجها في الصّورة الّتي تساعدهم على البحث، أمّا هذه الرّسائل فهي:

1- في العلة الّتي لها تكون بعض المواضع لا تكاد تمطر، تقع في 6 صفحات.

2- في علة كون الضّباب تقع في 3 صفحات.

3- في علة الثّلج والبرد والبرق والصّواعق والرّعد والزّمهرير تقع في 6 صفحات.

4- في العلة الّتي لها يبرد أعلى الجو ويسخن ما قرب من الأرض تقع في 10 صفحات.

ومن المستحسن لو تفضل الأساتذة المختصون بدراسة هذه الرّسائل، وإعطاء فكرة عنها ومقارنتها بعلم الجغرافيا الحديثة فيكونوا بذلك قد أسدوا خدمة جلى لفيلسوف العرب والمسلمين.

ولعل بعض الكتاب من يتعدى في ذكر مؤلفات الكندي الجغرافية إلى العشرة، وإننا وإن رأينا في ذكر أسمائها خلطاً بين الجغرافيا والفلك، ولكن يمكن أن نأخذها بالمعنى الجغرافي العام ونستدل منها على إحاطته وشموله في هذا الباب[1].

الموسيقى

قيل أنّها لفظ يوناني مركب من «موس» وهي عبارة عن النّغمات و«قى» عبارة عن الموزون الملذ، وقيل: لفظ يوناني مفرد يراد به الألحان، وقيل: سمي باسم الفلك الأعظم الّذي هو موسيقاقيا لتناسبهما في الشّرف فحذفت بعض الحروف طلباً للخفة فصار موسيقى[2] وعرف بأنّه: علم رياضي يبحث فيه أحوال النّغم من حيث الاتفاق والتّنافر وأحوال الأزمنة المتخللة بين النّقرات من حيث الوزن وعدمه ليحصل معرفة كيفية تأليف اللحن[3].

قال الدّكتور فارمر[4]: ونكاد نجزم أنّ الموسيقى عند العرب قبل الإسلام كان نصيبها ضيئلاً، سوى بضع آلات كان يلعب بها العرب في المناسبات، أمّا تطور الموسيقى فقد انحدر للعرب من اليونان، تحدثنا الرّواية التّاريخية بأنّ القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل الأخرى فهنأتها بذلك، ووضعت الأطعمة، واجتمع النّساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن بالأعراس[5].

أمّا نوعية الموسيقى قبل الإسلام فلم تكن أكثر من ترنم ساذج -كما يذكر برون- ينوعه ويجمله المغني أو المغنية تبعاً لذوقه أو انفعاله، أو ما يريده من تأثير[6].

وكانت آلات الموسيقى المعروفة حينذاك: القضيب، والمزهر، والصّنج، والأرغن[7] وبعض الآلات البسيطة الّتي كانت شائعة الاستعمال في ذلك العصر.

وحين أطل الإسلام وضع حداً للهو ومنع من ارتكابه، وكان من جملته آلات الموسيقى، وعلى الرّغم من تصريح الإسلام بتحريمه، فإنّ هذا الفن يتسرب إلى المسلمين:

أوّلاً- عن طريق التّرجمة من التّراث الأجنبي الّذي نقل غالبية العلوم، ومنها الموسيقى.

ثانياً- عن طريق الرّقيق والقيان من غير المسلمين، ودخولهم في حضيرة الإسلام.

ولقد شجعت النّزعة اللاهية عند الأمويين والعبّاسيين على تطوره بسرعة فائقة، حيث كانت لهم العطايا الوافرة، والهدايا الكثيرة ونتيجة لهذا التّشجيع تقدمت طبقة خاصة لتمتهن الموسيقى، ولم تعد مقصورة على الرّقيق وحدهم، حتّى أنّ الموسيقيين كونوا طبقة خاصة، ونظموا فيما بينهم معاهد لدراسة هذا الفن.

ويعزو الدّكتور فارمر[8] انتشار الموسيقى في العصر الأموي إلى ثلاثة عوامل:

1- بعث الحب العربي الوثني للموسيقى بسبب عدم اكتراث الأمويين بالإسلام.

---

(1) الجغرافيون العرب: ﷺ- ﷺ.

(2) كشف الظّنون: ﷺ/ﷺ هامش ﷺ

(3) نفس المصدر والصّفحة والجزء.

(4) تاريخ الموسيقى العربية: ﷺ

(5) تاريخ الموسيقى العربية: ﷺ

(6) نفس المصدر: ﷺ

(7) قال أبو حيان في «الهوامل والشّوامل: ﷺ- ﷺ» فأمّا ما يحكى عن الأرغن الرّومي فلم نسمعه إلا خبراً، ولم نره إلا مصوراً، وقد عمل فيه الكندي وغيره كلاماً لم يخرج به إلى الفعل من القوة.

(8) تاريخ الموسيقى العربية: ﷺ

2- تأثير سوريا الّذي أتى مع انتقال العاصمة إلى دمشق، حين ساعدت الثّقافة السّامية الإغريقية الشّمالية على تشكيل علم موسيقى جديد.

3- تأثير فارس الملموس في الآلات.

ومع ذلك يجب ألا نبالغ في هذه الدّوافع الخارجية.

واستمرت هذه العناية بالموسيقى إلى عهد العبّاسيين حيث كان بلاطهم موئلاً للغناء، ومقصداً لأرباب الموسيقى حتّى قال المؤرخون: «ما زالت صناعة الغناء تتدرج إلى أن كملت أيّام بني العبّاس»[1]، وعندما ترجم تراث الإغريق نقلت إلى العربية بضعة كتب تبحث في الموسيقى النّظرية، واستمد العرب منها آراءهم العلمية في الموسيقى، وأصبحت لهم ثقافة قائمة بذاتها في مبادئ نظرية الصّوت الفيزيائية والفسيولوجية ومن هنا كانت النّاحية العلمية الرّياضية للموسيقى العربية مستمدة من أصول يونانية، أمّا من النّاحية العملية فنماذجها - كما أظهرت أبحاث فارمر- عربية بحتة[2].

ويوضح الدّكتور حتّى: السّر في انحياز الموسيقى للناحية النّظرية في عهد المأمون فيقول: وفي هذا العهد استعيرت لفظة «موسيقى» وبعدئذ «ميوسيقى» عن اليونانية، وأطلقت على مناحي هذا العلم النّظرية، وخصصت لفظة «الغناء» القديمة - وقد كانت إلى ذلك الزّمن تفيد الغناء والموسيقى معاً- للفن العملي.

وكان زعيم الكتاب الموسيقيين الّذي تبعوا المدرسة الإغريقية الفيلسوف الكندي الّذي زها في الشّطر الثّاني من القرن التّاسع، وتظهر في كتبه أوّل معالم الأثر اليوناني، ونجد في واحد من الكتب الستّة المنسوبة إليه أوّل استعمال صريح لعلامات الموسيقى عند العرب[3]، ولقد كان الكندي عبقرياً واسع الأفق في هذا الفن خاض غماره فأحسن فيه، وألف في إيقاع الموسيقى فأجاد في تصنيفه على حد رأي الدّكتور عمر فروخ[4].

ويؤكد هذا المعنى الدّكتور فارمر -المعروف بأبحاثه الموسيقية- بأنّ الكندي واسع المعرفة في علم الموسيقى وهو من المقدمين في التّاليف في هذا الفن حينذاك، وفي رسائله المؤلفة في هذا المضمار «نحصل على نظرة دقيقة في موسيقى كبار فناني العصر النّظرية والعملية في آثاره، كما نحصل فيها على النّظريات المأخوذة من الإغريق القدماء»[5].

إنّ موضع الاعتزاز أن يسجل كتاب العرب لفيلسوفنا الأسبقية في وضع تاليف في الإيقاع والموسيقى قبل أن تعرف أوروبا الإيقاع بعدة قرون[6].

أضف إلى ذلك أنّه تفنن بهذا العلم فلم يقصره على الفن النّظري فقط، إنما سما به إلى المعالجات الطّبية المبتنية على الأسس الموسيقية، ولقد نقل إلينا القفطي قصة ذلك الشّاب الّذي فقد الحياة، وتمكن من إرجاع روحه إليه بعض الوقت بواسطة الموسيقى[7].

ولعل هذه المعالجة الجديرة بالإكبار -إن صحت- فهي النّواة الأولى للاكتشاف الهائل من فيلسوف العرب في حقل الطّب التّجريبي من قبل ألف ومائة عام.

ويرى دي بور[8] أنّ الكندي بنى فعل الموسيقى على نسبة المتوالية الهندسية المتضاعفة، وهي تدل في حقيقتها على إمكانيات واسعة في حقل الرّياضيات أيضاً.

ويزداد الإعجاب بفيلسوف العرب حينما نعلم أنّ كتاب هذا الفن والمختصين به يقولون: «إنّ إسحاق الموصلي كان أعظم الموسيقيين العرب سعة في المعلومات، وقد استطاع كعالم موسيقى، أن يخضع النّظريات المتطاحنة في ممارسة الفن لنظام واضح، مع أنّه لم يبلغ من ناحية النّظر العلمي مبلغ الكندي»[9]، إذا قرأنا هذه الفقرة نلمس مدى قابلية هذه الشّخصية الّتي ضربت شوطاً بعيداً في كلّ مضمار.

أمّا مؤلفاته في هذا الفن فقد ذكر ابن النّديم[10] له سبعة مؤلفات هي:

1- رسالته الكبرى في التّاليف.

2- رسالته في ترتيب النّغم الدّالة على طبائع الأشخاص العالية وتشابه التّاليف.

3- رسالته في الإيقاع.

4- رسالته في المدخل إلى صناعة الموسيقى.

5- رسالته في خبر صناعة التّاليف.

---

(1) تاريخ ابن خلدون «المقدمة»: ﷺ/ﷺ.

(2) تاريخ العرب «مطول»: ﷺ/ﷺ.

(3) نفس المصدر والصّفحة والجزء.

(4) مجلة العلوم: ﷺ/ص ﷺ مقال «حينما كان العلم في خدمة العرب».

(5) تاريخ الموسيقى العربية: ﷺ

(6) العلوم عند العرب: ﷺ

(7) أخبار الحكماء: ﷺ- ﷺ

(8) تاريخ الفلسفة في الإسلام: ﷺ

(9) تاريخ الموسيقى العربية: ﷺ

(10) الفهرست: ﷺ

6- رسالته في صناعة الشّعر.

7- رسالته في الأخبار عن صناعة الموسيقى[1].

وذكر فارمر[2] أنّ كتبه في الموسيقى ثمانية، وصل إلينا منها ثلاثة إن لم يكن أربعة من هذه الآثار، وإن كانت العناوين مختلفة اختلافاً طفيفاً:

1- رسالة في خبر تأليف الألحان[3] مخطوطة في المتحف البريطاني.

2- رسالة في أجزاء خبرية الموسيقى مخطوطة في مكتبة برلين.

3- رسالة في اللحون مخطوطة في مكتبة برلين.

4- رسالة في الموسيقى بدون عنوان مخطوطة في مكتبة برلين.

5- رسالة العزم في تأليف اللحون مخطوطة في المتحف البريطاني.

أمّا الأستاذ جول رو وايت[4] فيذكر للكندي ستة مؤلفات هي:

1- كتاب في التّلحين.

2- كتاب في ترتيب الأبعاد الصّوتية.

3- كتاب في العناصر الموسيقية.

4- كتاب في الميزان الموسيقى.

5- في الآلات الموسيقية.

6- في اتحاد الموسيقى والشّعر.

قال: وهذه الكتب محفوظة في المتحف البريطاني بلندن.

وإننا نرى أنّ بعض الاختلاف قد حصل في ذكر الرّسائل الموسيقية له، غير أنّ الّذي يمكن أن نجزم به هو الثّبت الّذي يذكره الأستاذ كوركيس عواد من أسماء رسائله الموسيقية المطبوعة:

1- رسالة في خبر تأليف الألحان: نشرها المستشرق «روبرت لاخمان R. Lachmann» والدّكتور محمود أحمد الحفني، مع ترجمة ألمانية «ليبسك 1931» وهي أوّل ما نشر من مؤلفات الكندي في الموسيقى.

2- رسالة في أجزاء خبرية في الموسيقى: حققها وشرحها وعلق عليها الأستاذ الدّكتور محمود أحمد الحفني «مطبعة الأمين للطبع والنّشر- القاهرة في ص57».

3- كتاب المصوتات الوترية من ذات الوتر الواحد إلى ذات العشرة أوتار: حقق عن مخطوط فريد عثر عليه الأستاذ زكريا يوسف سنة 1955 في خزانة كتب بدليان بجامعة اكسفورد.

4- مختصر الموسيقى في تأليف النّغم وصنعة العود: ألفه لأحمد بن المعتصم نشره زكريا يوسف عن نسخة برلين.

5- الرّسالة الكبرى في التّأليف أو الكتاب الأعظم في التّأليف نشرها زكريا يوسف.

إنّ هذه الكتب الثّلاثة الأخيرة الّتي نشرها الأستاذ زكريا يوسف طبعت بمطبعة «شفيق- بغداد 1962» وتقع في 143 صفحة[5].

ولقد ذكرت له بعض المصادر الحديثة[6] مؤلفاً مخطوطاً اسمه «المؤنس» يبحث في الموسيقى، لم يرد ذكره في المصادر الّتي اعتمدنا في بحثنا هذا.

ومن هذا العرض يبدو أنّ الكندي كانت له مشاركة في الموسيقى لا تقل أهمية من وجهة فنية عن باقي خبراته في مختلف ميادين المعرفة.

آثاره العلمية ومؤلفاته

بين أيدينا قائمة كبيرة يذكرها الكثير من المؤرخين قد يزيد عددها على المائتين وخمسين رسالة وكتاباً لفيلسوفنا في ميادين شتى من العلوم، أثبت فيها بجدارة أنّه رجل بلغ الحد الأقصى في الجانب التّأليفي فلم يترك -على ما يظهر- فناً إلا طرقه، وألف فيه، وهذا مما دعا رجال الفكر والثّقافة أن يعتبروه مفخرة الفكر العربي.

وإننا لو تصفحنا عناوين هذه الكتب المذكورة لرأينا فيها تنويعة عجيبة تدل على أنّ مؤلفها له اطلاع واسع في عامة الفنون، وجلها تدور حول الأبحاث العقلية الفلسفية، والّتي

(1) وقد ذكر ابن أبي أصيبعة الرّسالة ﷺ، ﷺ، ﷺ، ﷺ، ﷺ والّذي يلفت النّظر أنّ ابن النّديم وابن أبي أصيبعة ذكرا رسالته في صناعة الشّعر في حين أنّها ليست لها علاقة بالموضوع والغريب إدخال مثل هذه الرّسالة في حقل الموسيقى.

(2) تاريخ الموسيقى العربية: ﷺﷺﷺ

(3) ذكر الدّكتور جواد علي في «مجلة المجمع العلمي العراقي: ﷺ/ﷺﷺﷺ» ويظن «ريو» أنّها رسالة الكندي الّتي سماها ابن النّديم «رسالة في خبر صناعة التّأليف» وأظن أنّها الرسالة الّتي طبعت في مدينة لايبزك بألمانيا عام ﷺﷺﷺﷺ وطبعها وشرحها «لخمن» و«محمود الحفني» بعنوان «رسالة في خبر تأليف الألحان» وقد ذكرها بروكلمان في ملحقه ﷺ/ﷺﷺ.

(4) دائرة المعارف الموسيقية: ﷺﷺ

(5) الكندي: ﷺﷺ- ﷺﷺ

(6) تقدم العرب في العلوم والصّناعات: ﷺﷺﷺ

اشتهر بها كفيلسوف، ولكن الّذي نأسف له أنّ هذا العدد الهائل من مؤلفاته لم يصل إلينا منه إلا النزر القليل ذلك الّذي سنتعرض له فيما بعد.

لقد وصلت أرقام الإحصاء في ثبت مؤلفاته إلى عدد قد يثير الكثير من التّساؤل، وترتسم حولها عدد من الاستفهامات، فقد حددها ابن النّديم[1] بمائتين واثنين وأربعين مؤلفاً في شتى المعارف.

وأوصلها ابن أبي أصيبعة[2] إلى مائتين وسبعين كتاباً ورسالة أو أكثر، أمّا القفطي[3] فيقارب ابن النّديم في تحديده.

وحين يتحدث صاعد الأندلسي[4] عن مؤلفات صاحبنا يقول: بأنّها تزيد على الخمسين، ولعل هذا الهبوط من القاضي صاعد يعود سببه إلى غرض شخصي قد نستطيع أن نلمس خطوطه من حديث صاعد عن مؤلفات الكندي وتحامله عليه فيما بعد.

والآن لنستعرض ثبت ابن النّديم عن مؤلفات الكندي.

ثبت ابن النّديم:

لما كان مصدرنا الأوّل في ذكر مؤلفات فيلسوفنا الكندي هو ابن النّديم، لذا فإننا سندرج ثبت صاحب الفهرست[5] لمؤلفات صاحبنا إتماماً للفائدة وقد وزعها على الشّكل التّالي:

كتب الفلسفة

كتاب الفلسفة الأولى فيما دون الطّبيعيات والتّوحيد، كتاب الفلسفة الدّاخلة والمسائل المنطقية والمعتاصة وما فوق الطّبيعيات، كتاب رسالته في أنّه لا تنال الفلسفة إلا بعلم الرّياضيات، كتاب الحث على تعلم الفلسفة، كتاب ترتيب كتب ارسطاليس، كتاب في قصد ارسطاليس في المقولات إيّاها قصداً والموضوعة لها، كتاب مائية العلم وأقسامه، كتاب أقسام العلم الإنسي، رسالته الكبرى في مقياس العلمي، رسالة بإيجاز في مقياسه العلمي، كتاب في أنّ أفعال الباري جل اسمه كلّها عدل لا جور فيها، كتاب في مائية الشّيء الّذي لا نهاية له، وبأي نوع يقال الّذي لا نهاية له، كتاب في الإبانة أنّه لا يمكن أن يكون جرم العالم بلا نهاية وإنّ ذلك إنما هو في القوة، كتاب في الفاعلة والمنفعلة من الطّبيعات الأولى، كتاب في عبارات الجوامع الفكرية، كتاب مسائل سئل عنها في منفعة الرّياضيات كتاب في بحث قول المدعي أنّ الأشياء الطّبيعية تفعل فعلاً واحداً بإيجاب الخلقة، كتاب في أوائل الأشياء المحسوسة، رسالته في التّرفق في الصّناعات، رسالته في رسم رقاع إلى الخلفاء والوزراء، رسالته في قسمة القانون، رسالته في مائية العقل والإبانة عنه.

كتب المنطق

كتاب في المدخل المنطقي باستيفاء القول فيه، رسالة في المدخل المنطقي باختصار وإيجاز، رسالة في المقولات العشر، رسالة في الإبانة عن قول بطليموس في أوّل كتابه المجسطي عن قول ارسطاليس في انالوطيقا، كتاب في الاحتراس من خداع السّوفسطائين، رسالة بإيجاز واختصار في البرهان المنطقي، كتاب في الأصوات الخمسة، رسالة في سمع الكيان، رسالة في عمل آلة مخرجة الجوامع.

كتب الحسابيات

كتاب في المدخل إلى الأرثماطيقي خمس مقالات، رسالة في استعمال الحساب الهندي أربع مقالات، كتاب في الإبانة عن الأعداد الّتي ذكرها أفلاطون في كتابه السّياسة، رسالة في تأليف الأعداد، رسالة في التّوحيد من جهة العدد، رسالته في استخراج الخبء والضّمير رسالته في الزّجر والفأل من جهة العدد، رسالته في الخطوط والضّرب بعدد الشّعير، رسالته في الكمية المضافة، رسالة في النّسب الزّمانية، رسالة في الحيل العددية وعلم إضمارها.

كتب الكريات

رسالة في أنّ العالم وكلما فيه كرى الشّكل، كتاب في الإبانة عن أنّه ليس شيء من العناصر الأولى والجرم الأقصى غير كرى، كتاب في أنّ الكرة أعظم الأشكال الجرمية، والدّائرة أعظم من جميع الأشكال البسيطة، رسالة في أنّ سطح ماء البحر كرى، رسالة في تسطيح الكرة، كتاب في الكريات، رسالة في عمل السّمت على كرة، رسالة في عمل الحلق السّت واستعمالها.

كتب الموسيقيات

كتاب رسالته الكبرى في التّاليف، كتاب رسالته في ترتيب النّغم الدّالة على طبائع الأشخاص العالية وتشابه التّاليف، رسالة في الإيقاع كتاب رسالته في المدخل إلى صناعة الموسيقى، كتاب رسالته في خبر صناعة التّاليف، كتاب رسالته في صناعة الشّعر، كتاب رسالته في الأخبار عن صناعة الموسيقى.

كتب النّجوميات

---

(1) الفهرست: ﷺ.

(2) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ﷺ- ﷺ.

(3) أخبار الحكماء: ﷺ.

(4) طبقات الأمم: ﷺ.

(5) ﷺ- ﷺ.

كتاب رسالته في أنّ رؤية الهلال لا تضبط بالحقيقة وإنما القول فيها بالتّقريب، كتاب رسالته في مسائل سئل عنها من أحوال الكواكب، كتاب رسالته في جواب مسائل طبيعية في كيفيات نجومية، كتاب رسالته في مطراح الشّعاع، كتاب رسالته في الفصلين، كتاب رسالته فيما ينسب إليه كلّ بلد من البلدان إلى برج من البروج، وكوكب من الكواكب، كتاب رسالته فيما سئل عنه من شرح ما عرض له الاختلاف في صور المواليد، كتاب رسالته فيما حكى من أعمار النّاس في الزمن القديم وخلافها في هذا الزّمن، كتاب رسالته في تصحيح عمل نمو دارات المواليد والهيلاج والكتخداه، كتاب رسالته في إيضاح علة رجوع الكواكب، كتاب رسالته في الشّعاعات، كتاب رسالته في سرعة ما يرى من حركة الكواكب إذا كانت في الأفق وإبطائها كلما علت، كتاب رسالته في الإبانة عن الاختلاف الّذي في الأشخاص العالية، كتاب رسالته في فصل ما بين التّسيير وعمل الشّعاع، كتاب رسالته في علل الأوضاع النّجومية، كتاب رسالته المنسوبة إلى الأشخاص العالية المسماة سعادة ونحاسة، كتاب في علل القوى المنسوبة إلى الأشخاص العالية الدّالة على المطر، كتاب رسالته في علل أحداث الجو، كتاب رسالته في العلة الّتي لها يكون بعض المواضع لا تكاد تمطر.

كتب الهندسيات

كتاب رسالته في أغراض كتاب إقليدس، كتاب رسالته في إصلاح كتاب إقليدس، كتاب رسالته في اختلاف المناظر، كتاب رسالته فيما نسب القدماء كلّ واحد من المجسمات الخمس إلى العناصر، كتاب رسالته في تقريب قول أرشميدس في قدر قطر الدّائرة من محيطها، كتاب رسالته في عمل مشكل الموسطين، كتاب رسالته في تقريب وتر الدّائرة، كتاب رسالته في تقريب وتر التّسع، كتاب رسالته في مساحة إيوان، كتاب رسالته في تقسيم المثلث والمربع وعملهما، كتاب رسالته في كيفية عمل دائرة مساوية لسطح اسطوانة مفروضة، كتاب رسالته في شروق الكواكب وغروبها بالهندسة، كتاب رسالته في قسمة الدّائرة ثلاثة أقسام، كتاب رسالته في إصلاح المقالة الرّابعة عشرة والخامسة عشرة من كتاب إقليدس، كتاب رسالته في البراهين المساحية لما يعرض من الحسابات الفلكية، كتاب رسالته في تصحيح قول اسقلاوس في المطالع، كتاب رسالته في اختلاف مناظر المرآة، كتاب رسالته في صنعة الإسطرلاب بالهندسة، كتاب رسالته في استخراج خط نصف النّهار وسمت القبلة بالهندسة، كتاب رسالته في عمل الرّخامة بالهندسة، كتاب رسالته في استخراج السّاعات على نصف كرة بالهندسة، كتاب رسالته في السّوانح، كتاب رسالته في عمل السّاعات على صفيحة تنصب على السّطح الموازي للأفق خير من غيرها.

كتب الفلكيات

كتاب في امتناع وجود مساحة الفلك الأقصى المدبر للأفلاك، كتاب رسالته في ظاهريات الفلك، كتاب رسالته في أنّ طبيعة الفلك مخالفة لطبائع العناصر الأربعة وأنّه طبيعة خامسة، كتاب في العالم الأقصى، رسالته في سجود الجرم الأقصى لباريه، رسالته في الرّد على المنانية في العشر مسائل في موضوعات الفلك، رسالته في الصّور، رسالته في أنّه لا يمكن أن يكون جرم العالم بلا نهاية، كتاب في المناظر الفلكية، كتاب في امتناع الجرم الأقصى من الاستحالة، كتاب في صناعة بطليموس الفلكية، كتاب في تناهي جرم العالم، رسالته في المعطيات، كتاب في مائية الفلك واللون اللازم اللازوردي المحسوس في جهة السّماء، كتاب في مائية الجرم الحامل بطباعة للألوان من العناصر الأربعة، كتاب في البرهان على الجسم السّائر ومائية الأضواء والأظلام.

كتب الطّبيات

كتاب في الطّب البقراطي، كتاب في الغذاء والدّواء المهلك، كتاب في الأبخرة المصلحة للجو من الأوباء، كتاب في الأدوية المشفية من الرّوائح المؤذية، كتاب في كيفية إسهال الأدوية، وانجذاب الأخلاط كتاب في نفث الدّم، رسالته في أشفية السّموم، كتاب في تدبير الأصحاء، كتاب في علة بحارين الأمراض الحادة، كتاب في نفس العضو الرّئيس من الإنسان والإبانة عن الألباب، رسالته في كيفية الدّماغ، كتاب في علة الجذام وأشفيته، رسالته في عضة الكلب الكلب، رسالته في الأعراض الحادثة من البلغم وعلة موت الفجأة، كتاب في وجع المعدة والنّقرس، رسالته إلى رجل في علة شكاها إليه، كتاب في أقسام الحميات، كتاب في علاج الطّحال الجاسي من الأعراض السّوداوية، رسالته في أجساد الحيوان إذا فسدت، رسالة في قدر منفعة صناعة الطّب، رسالة في صنعة أطعمة من غير عناصرها، رسالة في تغير الأطعمة.

كتاب الأحكاميات

كتاب في تقدمة المعرفة بالاستدلال بالأشخاص العالية على المسائل، رسالته الأولى والثّانية والثّالثة إلى صناعة الأحكام بتقاسيم رسالة في مدخل الأحكام على المسائل، رسالة في المسائل، رسالته في دلائل النّحسين في برج السّرطان، رسالة في قدر منفعة الاختيارات، رسالة في قدر منفعة صناعة الأحكام، ومن الرّجل المسمى منجماً باستحقاق، رسالته المختصرة في حدود المواليد، رسالته في تحويل سني المواليد، رسالته في الاستدلال بالكسوفات على الحوادث.

كتاب الجدليات

كتاب في الرّد على المنانية، رسالته في الرّد على الثّنوية، رسالته في الاحتراس من خدع السّوفسطائين، رسالته في نقض مسائل الملحدين رسالته في تثبيت الرّسل(عليهم السلام)، رسالته في الفاعل الحق الأوّل التّام، والفاعل الثّاني بالمجاز، كتاب في الاستطاعة وزمان كونها، رسالته في الرّد على من زعم أنّ للأجرام في هويتها في الجو توقفات، كتاب في بطلان قول من زعم أنّ بين الحركة الطّبيعية والعرضية سكون، رسالته في أنّ الجسم في أوّل إبداعه لا ساكن ولا متحرك ظن باطل، كتاب في التّوحيد بتفسيرات، رسالة في بطلان قول من زعم أنّ جزءاً لا يتجزأ، كتاب في جواهر الأجسام، رسالته في أوائل الجسم، رسالة في افتراق الملل في التّوحيد وأنّهم مجمعون على التّوحيد وكلّ قد خالف صاحبه، رسالته في التّمجيد، رسالته في البرهان.

كتب النّفسيات

رسالته في أنّ النّفس جوهر بسيط غير دائر مؤثر في الأجسام، كتاب في مائية الإنسان والعضو الرّئيس منه، رسالته في خبر اجتماع الفلاسفة على الرّموز العشقية، كتاب في ما للنفس ذكره، وهي في عالم العقل قبل كونها في عالم الحس، رسالته في علة النّوم والرّؤيا وما يرمز به النّفس.

كتب السّياسات

كتاب رسالته الكبرى في السّياسة، كتاب رسالته في تسهيل سبل الفضائل، كتاب رسالته في دفع الأحزان، كتاب رسالته في سياسة العامة، كتاب رسالته في الأخلاق، كتاب رسالته في التّنبيه على الفضائل، كتاب رسالته في خير فضيلة سقراط كتاب في ألفاظ سقراط كتاب رسالته في محاورة جرت بين سقراط وأرشيجانس، كتاب رسالته في خبر موت سقراط كتاب رسالته فيما جرى بين سقراط والحرانيين، كتاب رسالته في خبر العقل.

كتب الإحداثيات

كتاب رسالته في الإبانة عن العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد في الكائنات الفاسدات، كتاب رسالته في العلة الّتي لها قيل أنّ النّار والهواء والماء والأرض عناصر لجميع الكائنة الفاسدة وهي وغيرها يستحيل بعضها إلى بعض، كتاب رسالته في اختلاف الأزمنة الّتي يظهر فيها قوى الكيفيات الأربع الأوّلى، كتاب رسالته في النّسب الزّمانية، كتاب رسالته في علة اختلاف أنواع السّنة، كتاب رسالته في مائية الزّمان والحين والدّهر، كتاب في العلة الّتي لها يبرد أعلى الجو ويسخن ما قرب من الأرض، كتاب رسالته في إحداث الجو كتاب رسالته في الأثر الّذي يظهر في الجو ويسمى كوكباً، كتاب رسالته في كوكب الذّوابة، كتاب رسالته في الكوكب الّذي ظهر ورصده أياماً حتّى اضمحل، كتاب رسالته في علة البرد المسمى برد العجوز، كتاب رسالته في علة كون الضّباب والأسباب المحدثة له في أوقاته، كتاب رسالته فيما رصد من الأثر العظيم في سنة اثنتين وعشرين ومائتين للهجرة.

كتاب الأبعاديات

كتاب رسالته في أبعاد مسافات الأقاليم، كتاب رسالته في المساكن، كتاب رسالته الكبرى في الرّبع المسكون، كتاب رسالته في أخبار أبعاد الأجرام، كتاب رسالته في استخراج بعد مركز القمر من الأرض، كتاب رسالته في استخراج آلة وعملها يستخرج بها أبعاد الأجرام، كتاب رسالته في عمل آلة يعرف بها بُعد المعاينات، كتاب رسالته في معرفة أبعاد قلل الجبال.

كتب التّقدميات

كتاب رسالته في أسرار تقدمة المعرفة، كتاب رسالته في تقدمة المعرفة بالأحداث، كتاب رسالته في تقدمة الخبر، كتاب رسالته في تقدمة الأخبار، كتاب رسالته في تقدمة المعرفة في الاستدلال بالأشخاص السّماوية.

كتب الأنواعيات

كتاب رسالته في أنواع الجواهر الثّمينة وغيرها، كتاب رسالته في أنواع الحجارة، كتاب رسالته في تلويح الزّجاج، كتاب رسالته فيما يصبغ فيعطي لوناً، كتاب رسالته في أنواع السّيوف والحديد، كتاب رسالته فيما يطرح على الحديد والسّيوف حتّى لا تتثلم ولا تكل، كتاب رسالته في الطّائر الإنسي، كتاب رسالته في تمويح الحمام، كتاب رسالته في الطّرح على البيض، كتاب رسالته في أنواع النّحل وكرائمه، كتاب رسالته في عمل القمقم النّباح، كتاب رسالته في العطر وأنواعه، كتاب رسالته في كيمياء العطر، كتاب رسالته في صنعة أطعمة من غير عناصرها، كتاب رسالته في الأسماء المعماة، كتاب رسالته في التّنبيه على خدع الكيمائيين، كتاب رسالته في أركان الحيل، كتاب رسالته الكبيرة في الأجرام الغائصة في الماء، كتاب رسالته في الأثرين المحسوسين في الماء، كتاب رسالته في المد والجزر، كتاب رسالته في عمل المرايا المحرقة، كتاب رسالته في سعار المرآة، كتاب رسالته في اللّفظ وهي ثلاثة أجزاء أول وثان وثالث، كتاب رسالته في رسالته في الحشرات مصور عطاردي، كتاب رسالته في علم

حدوث الرّياح في باطن الأرض المحدثة كثير الزّلازل والخسوف، كتاب رسالته في جواب أربع عشرة مسألة طبيعيات سأله عنها بعض إخوانه، كتاب رسالته في جواب ثلاث مسائل سئل عنها، كتاب رسالته في قصة المتفلسف بالسّكوت، كتاب رسالته في علة الرّعد والبرق والثّلج والبرد والصّواعق والمطر، كتاب رسالته في بطلان دعوى المدعين صنعة الذّهب والفضة وخدعهم، كتاب رسالته في الوفاء، كتاب رسالته في الإبانة أنّ الاختلاف الّذي في الأشخاص العالية ليس علة الكيفيات الأوّلى كما هي علة ذلك في الّتي تحت الكون والفساد.

ما استدركه ابن أبي أصيبعة:

بعد أن استعرضنا ثبت ابن النديم عن مؤلفات فيلسوف العرب أبي يوسف الكندي رأينا من المستحسن أن نورد ما ذكره ابن أبي أصيبعة[1] زيادة على قائمة ابن النّديم الّتي بلغ بها إلى ما يقارب 242 كتاباً ورسالة.

أمّا ما ورد عند ابن أبي أصيبعة من الزّيادة على ذلك الثّبت هي:

1- رسالة إلى المأمون في العلة والمعلول.

2- اختار كتاب ايساغوجي لفرفر ريوس.

3- مختصر الموسيقى في تأليف النّغم وصنعة العود ألفه لأحمد بن المعتصم.

4- رسالة في أجزاء خبرية الموسيقى.

5- رسالة إلى زرنب تلميذه في أسرار النّجوم، وتعليم مبادئ الأعمال.

6- رسالة في العلة الّتي ترى من الهالات للشّمس والقمر والكواكب، والأضواء النّيرة -أعني النّيرين.

7- رسالة في اعتذاره في موته دون كماله لسني الطّبيعة الّتي هي مائة وعشرون سنة.

8- كلام في الجمرات.

9- رسالة في النّجوم.

10- رسالة في عمل شكل المتوسطين.

11- كلام في العدد.

12- كلام في المرايا الّتي تحرق.

13- رسالة في تركيب الأفلاك.

14- رسالة في الأجرام الهابطة من العلو، وسبق بعضها بعضاً.

15- رسالة في العمل بالآلة المسماة الجامعة.

16- رسالة في كيفية رجوع الكواكب المتحيرة.

17- رسالة في الحياة.

18- رسالة في الفراسة.

19- رسالة في الحيلة لدفع الأحزان[2].

20- كتاب الأدوية الممتحنة.

21- كتاب الاقرا باذين.

22- رسالة في تحويل سني المواليد.

23- رسالة في الفرق بين الجنون العارض من مس الشّياطين، وبين ما يكون من فساد الإخلاط

24- رسالة في إيضاح العلة في السّمائم القاتلة السّمائية، وهو على المقال المطلق الوباء.

25- جوامع كتاب الأدوية المفردة لجالينوس.

26- رسالة في اللثغة للأخرس[3].

27- رسالة في الإبانة عن منفعة الطّب إذا كانت صناعة طب النّجوم مقرونة بدلائلها.

28- رسالة في الأخبار عن كمية ملك العرب[4].

29- كلام له مع ابن الراوندي في التّوحيد.

30- كلام رد به على بعض المتكلمين.

31- رسالة في ماهية ما لا نهاية له وما الّذي يقال لا نهاية له، وبأي نوع يقال ذلك.

32- رسالة إلى محمّد بن الجهم في الإبانة عن وحدانية الله عزّ وجل وعن تناهي جرم الكل[5].

33- رسالة في الاكفار والتّضليل.

34- في نوادر الفلاسفة.

35- رسالة في أنّ ما بالإنسان إليه حاجة مباح له في العقل قبل أن يحظر.

36- رسالة في الآثار العلوية.

---

(1) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ﷺ/ﷺ- ﷺ

(2) توجد هذه الرّسالة في مخطوطة الكندي في أيا صوفيا ﷺ «مقدمة رسائل الكندي: م».

(3) ورد ذكر هذه الرّسالة في مخطوطة أيا صوفيا ﷺ « مقدمة رسائل الكندي:ن».

(4) نشرت هذه الرّسالة راجع «مؤلفات الكندي المطبوعة» من هذا الكتاب.

(5) ورد ذكر لهذه الرّسالة في مخطوطة أيا صوفيا ﷺ « مقدمة رسائل الكندي: م» بهذا النّص «ورقة ﷺ و: و: رسالة يعقوب بن إسحاق الكندي إلى علي بن الجهم في وحدانية الله وتناهي جرم العالم».

37- رسالة إلى ابنه أحمد في اختلاف مواضع المساكن من كرة الأرض.

38- رسالة في علة اختلاف الأزمان في السّنة وانتقالها بأربعة فصول مختلفة.

39- كلام في عمل السّمت.

40- رسالة إلى أحمد بن محمّد الخراساني فيما بعد الطّبيعة، وإيضاح تناهي جرم العالم[1].

41- رسالة في قلع الآثار من الثّياب وغيرها.

42- رسالة إلى يوحنا بن ماسويه في النّفس وأفعالها.

43- رسالة في ذات الشّعبتين[2].

44- رسالة في علم الحواس.

45- رسالة في صفة البلاغة.

46- كلام في المبدع الأوّل.

47- رسالة في قدر المنفعة بأحكام النّجوم.

48- رسالة في صنعة الأحبار والليق «كذا».

49- رسالة في رموز الفلاسفة في المجسمات.

50- رسالة في عناصر الأخبار.

51- رسالة إلى أحمد بن المعتصم في تجويز إجابة الدّعاء من الله عز وجل لمن دعا به.

52- رسالة في الفلك والنّجوم.

هذه الكتب الّتي ذكرها ابن أبي أصيبعة ولم توجد في ثبت ابن النديم، وأنّ قسماً من هذه الرّسائل الّتي أوردها صاحب طبقات الأطباء قد وردت في مخطوطة أيا صوفيا الّتي حصل عليها الأستاذ أبو ريدة، وصورة منها في دار الكتب المصرية.

أمّا الكتب الّتي أصلحها فيلسوفنا لمشاهير عمالقة اليونان، فكما أشرنا إليها في بحثنا التّرجمة ودوره فيها، ولعلنا لمسنا أثره في هذا المضمار هناك.

ولقد أكدت دائرة المعارف البريطانية أنّ مؤلفات الكندي تبلغ 270 سفراً تحوي علم الفلسفة، والرّياضيات والطّب والطّبيعيات، وعلم الهيئة، والتّنجيم، وعلم النّور، والبصريات، والباقي منها حوالي 20 كتاباً[3].

في كتب متفرقة

(1) ورد ذكر لهذه الرّسالة في مخطوطة أيا صوفيا ﷺ بهذا النّص «رسالة الكندي إلى أحمد بن محمّد الخراساني في إيضاح جرم العالم».

(2) ورد اسم هذه الرّسالة في مقدمة رسائل الكندي: س، وتاريخ فلاسفة الإسلام: ﷺ

(3) ﷺ/ﷺ.

وهناك مؤلفات أوردها بعض المؤلفين، ولم ترد في ثبت ابن النديم:

1- كتاب التّوحيد -المعروف «بفم الذّهب»:

ذكر صاعد الأندلسي[4] هذا الكتاب وقال: ذهب الكندي به إلى مذهب أفلاطون من القول بحدوث العالم في غير زمان، ونصر هذا المذهب بحجج غير صحيحة بعضها سفسطائية، وبعضها خطابية.

وأشار الدكتور ذبيح الله صفا[5] إلى أنّ للكندي كتاب في التّوحيد، قال: وقد نسب إلى الكندي في نسخة، وفي نسخة نسب إلى الإسكندر، وقد ترجمه كرمونا إلى اللاتينية.

2- كتاب في الجواهر والأشباه:

قال البيروني[6]: «ولم يقع إليّ من هذا الفن غير كتاب أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، الّذي قد افترع فيها عذرته، وظهر ذروته كاختراع البدائع في كلّ ما وصلت إليه يده من سائر الفنون فهو إمام المحدثين وأسوة الباقين».

3- كتاب الجغرافيا في معرفة الأقاليم المعمورة وغيرها:

ذكره ابن جلجل[7]، ولم يرد ذكره عند ابن النديم، إنّما ورد عند «القفطي -أخبار الحكماء: 69- 70» في ترجمة بطليموس القلوذي أنّ له «كتاب الجغرافيا في المعمورة من الأرض» وهذا الكتاب نقله الكندي إلى العربية نقلاً جيداً، ويوجد سريانياً.

4- رسم المعمورة:

خرائط وصور عن الأرض... ذكر هذا الكتاب الزّركلي[8] عن المسعودي.

5- كتاب في نسج بيتاً فنبز به، ومن نسج بيتاً فنسب إليه:

ذكر هذا الكتاب ابن النديم[9] في غير موضع من ثبته.

6- أخلاق كندي:

هكذا أورده الحجة الشّيخ آغا بزرك الطهراني[10].

مؤلفات الكندي المطبوعة

(4) طبقات الأمم: ﷺ.

(5) تاريخ علوم عقلي در تمدن إسلامي: ﷺ/ﷺ.

(6) الجماهير في معرفة الجواهر: ﷺ- ﷺ، وقد ذكر ابن النديم في «الفهرست ﷺ» أنّ له رسالة في أنواع الجواهر الثّمينة وغيرها.

(7) طبقات الأطباء والحكماء: ﷺ.

(8) الأعلام: ﷺ/ﷺ.

(9) الفهرست: ﷺ.

(10) الذّريعة إلى تصانيف الشّيعة: ﷺ/ﷺ.

طبعت عدة مؤلفات من تراث هذا الفيلسوف، ونحن نذكر ما توصلنا إليه:

1- مجموعة رسائله الفلسفية:

حققها وأخرجها، ووضع لها مقدمة وافية الأستاذ محمّد عبد الهادي أبو ريدة، الأستاذ المساعد بكلية الآداب -جامعة فؤاد الأوّل سابقاً- طبع الجزء الأوّل بمطبعة الاعتماد بمصر عام 1369هـ والجزء الثّاني طبع في مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر عام 1372- 1953.

يضم الجزء الأوّل الرّسائل التّالية:

1- كتاب الفلسفة الأولى ويقع في 66 صفحة.

2- رسالة في حدود الأشياء ورسومها وتقع في 16 صفحة.

3- رسالة في الفاعل الحق الأوّل، والفاعل بالمجاز وتقع في 3 صفحات.

4- رسالة في إيضاح تناهي جرم العالم وتقع في 7 صفحات.

5- رسالة في مائية ما لا يمكن أن يكون لا نهاية له...الخ وتقع في 6 صفحات.

6- رسالة في وحدانية الله وتناهي جرم العالم وتقع في 9 صفحات.

7- كتاب في علة الكون والفساد ويقع في 20 صفحة.

8- رسالة في الإبانة عن سجود الجرم الأقصى وتقع في 34 صفحة.

9- رسالة في أنّه توجد جواهر لا أجسام وتقع في 8 صفحات.

10- رسالة في القول في النّفس[1] وتقع في 10 صفحات.

11- رسالة في كلام في النّفس وتقع في صفحتين.

12- رسالة في ماهية النّوم والرّؤيا وتقع في 9 صفحات.

13- رسالة في العقل وتقع في 6 صفحات.

14- رسالة في كمية كتب أرسطو[2] وتقع في 21 صفحة.

وهذه هي محتويات الجزء الأوّل، وقد تحدث الأستاذ أبو ريدة عن اكتشاف المخطوطة، وأرجع الفضل في ذلك إلى المستشرق الألماني هـ ريتر فقد عثر عليها بمكتبة أيا صوفيا ضمن مجموعة 4832 فكتب عنها، وذكر أسماءها هو وزميله م. بلسز في مجلة «الأرشيف الشّرقي» التشيكوسلوفاكية في المجلد الرّابع عام 1932 «ص 363- 372» وكانت بخط قديم من النّوع النّسخي الكوفي، وربما يكون تاريخ المخطوطة القرن الخامس الهجري، كما أنّه في دار الكتب المصرية صورة فوتوغرافية منها برقم 3326[3].

ويضم الجزء الثّاني الرّسائل التّالية:

1- رسالة في الجواهر الخمسة وتقع في 13 صفحة.

2- رسالة في الإبانة عن أنّ طبيعة الفلك مخالفة لطبائع العناصر الأربعة وتقع في 6 صفحات.

3- رسالة في أنّ العناصر والجرم الأقصى كرية الشّكل وتقع في 6 صفحات.

4- رسالة في السّبب الّذي نسب القدماء الأشكال الخمسة إلى الاسطقسات وتقع في 10 صفحات.

5- رسالة في الجرم الحامل بطباعه اللّون من العناصر الأربعة والّذي هو علة اللون في غيره وتقع في 5 صفحات.

6- رسالة في العلة الّتي لها تكون بعض المواضع لا تكاد تمطر وتقع في 6 صفحات.

7- رسالة في علة كون الضّباب وتقع في 3 صفحات.

8- رسالة في علة الثّلج والبرد والبرق والصّواعق والرّعد والزّمهرير وتقع في 6 صفحات.

9- رسالة في العلة الّتي لها يبرد أعلى الجو ويسخن ما قرب من الأرض وتقع في 11 صفحة.

10- رسالة في على اللون اللازوردي الّذي يرى في الجو في جهة السّماء وتقع في 6 صفحات.

11- رسالة في العلة الفاعلة للمد والجزر وتقع في 24 صفحة.

وهذا هو محتوى الجزء الثّاني ويظهر أنّ هذا الجزء كما يضم قسماً من الفلسفة، كذلك يضم مجموعة من الجغرافيا بالمعنى العام، وتبتدئ بالرّسالة السّادسة -حسب التّسلسل الطّباعي- وهي في «العلة الّتي لها تكون بعض المواضع لا تكاد تمطر».

إنّ الأستاذ أبو ريدة نشر الرّسالة الأولى وهي في «الجواهر الخمسة» عن أصلها اللاتيني، وقد سبق للأستاذ «أ.

(1) هذه الرّسالة نشرت مرتين قبل أن ينشرها الأستاذ أبو ريدة فقد نشرها المستشرق ر.ولزر عام ﷺ ونشرها الأب يوحنا قمير مع ثلاثة من رسائل الكندي هي: ﷺ و ﷺ و ﷺ في فلاسفة العرب: الحلقة «ﷺ» الكندي المطبعة الكاثوليكية -بيروت ﷺ- ﷺ- ﷺ- ﷺ «الكندي: ﷺ- ﷺ».

(2) سبق أن حقق المستشرقان م. جويدي، ور.ولزر هذه الرّسالة، ونشرا نصها العربي مع ترجمة وتعليق باللغة الإيطالية «الكندي: ﷺ».

(3) مقدمة رسائل الكندي الفلسفية: ي- س.

ناجي» الإيطالي –وهو أحد المعنيين بنشر آثار الكندي– أن نشرها في أواخر القرن الماضي.

ويعتقد أبو ريدة صحة هذه الرّسالة لورودها في ضمن الفهارس القديمة الّتي قيدت فيها مخطوطات دور الكتب في الغرب، مضافاً إلى ذكرها عند بعض المؤلفين الإسلاميين كابن أبي أصيبعة، أمّا معظم هذه الرّسائل فقد نشرت من نفس المخطوطة الّتي اعتمد عليها الأستاذ المحقق في الجزء الأوّل[1].

2- كتاب الكندي في الفلسفة الأولى:

حقق هذه الرّسالة الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، ونشرها عام 1948 طبعت بالقاهرة دار إحياء الكتب العربية، ونشرها أيضاً الأستاذ أبو ريدة ضمن مجموعة رسائله الفلسفية الجزء الأوّل، وقد سبق الإشارة إليها[2].

3- رسالة في ملك العرب وكميته:

نشرت هذه الرّسالة بالمتن العربي باعتناء الأستاذ فون لت ضمن كتاب الأبحاث الشّرقية من ص261- 309 المطبوع في ليبسك عام 1857، وعدد صفحاتها 39[3] وموضوعها التّاريخ كما يشير عنوان الرّسالة.

4- رسالة في الحيلة لدفع الأحزان:

نشرها هريتر، ورفيقه، وتوجد هذه الرّسالة وترجمتها الإيطالية في النّشرات الّتي تصدر في روما –السّلسلة السّادسة- المجلد الثّامن، الكراسة الأولى عام 1938، الأصل العربي من 31- 47 التّرجمة الإيطالية من 47- 62[4].

5- رسائل ثلاثة كندية:

نشر هذه الرّسائل في ترجمتها اللاتينية «أ. ناجي» في ضمن مجموعة تاريخ فلسفة العصور الوسطى الّتي ظهرت في مدينة مينستر عم 1897 الكراسة الخامسة من المجلد الثّاني[5].

ونشر هذه الرّسائل الأستاذ أبو ريدة بنصها العربي: «العقل» و«النّوم والرّؤيا» في الجزء الأوّل من الرّسائل المطبوعة، والثّالثة وهي «الجواهر الخمسة» مع الأصل اللاتيني في الجزء الثّاني.

6- رسالة في التّنجيم:

ذكرها الزّركلي[6] ولم يشر إلى شيء سوى أنّه رمز بحرف «ط» وذلك يعني أنّه مطبوع.

7- الأدوية المركبة:

وأيضاً ذكر الزّركلي[7] هذه الرّسالة ورمز بحرف «ط» وقال ترجمت إلى اللاتينية وطبعت بها[8].

8- السّيوف وأجناسها:

حقق هذه الرّسالة ونشرها الأستاذ الدكتور عبد الرّحمن زكي «القاهرة 1952، 36ص» وهي مستلة من مجلة كلية الآداب بالقاهرة المجلد 14 الجزء 2 ديسمبر 1952، وذكرها الزّركلي أيضاً[9].

وتطرق بروكلمان[10] إلى هذه الرّسالة فقال عنها: «كذلك عني بعلم الحرب فوضع رسالة ذكر فيها ما يزيد على خمسة وعشرين ضرباً من ضروب السّيوف، وفقاً لمصدر إنتاجها من اليمن إلى سر نديب سيلان حتّى فرنسا وروسيا، ووصف خصائص شفراتها كلّ على حدة وعرض لبعض الفوائد فيما يتعلق بإعادة طبع السّيوف المفلولة بواسطة التّدبير التّدريجي».

9- كيمياء العطر والتّصعيدات: نشره المستشرق كارل كَرابور «ليبسك 1948» النّص العربي في 59ص، ويليه ترجمة وتعليق بالألمانية.

10- كتاب الحروف: نشره جويدي سنة 1937 في مجموعة، Stud. Ital. di. Class ns. Xiv

11- رسالة الكندي في عمل السّاعات: نشرها الأستاذ زكريا يوسف، بالزّنكغراف «مطبعة شفيق- بغداد 1962، ص6».

12- رسالة في خبر تأليف الألحان: نشرها المستشرق روبرت لاخمان «R. Lachmann» والدّكتور محمود أحمد الحفني مع ترجمة ألمانية «ليبسك 1931» وهي أوّل ما نشر من مؤلفات الكندي في الموسيقى.

13- رسالة الكندي في أجزاء خبرية في الموسيقى: حققها وشرحها وعلق عليها الأستاذ الدّكتور محمود أحمد الحفني «مطبعة الأمين للطبع والنّشر- القاهرة 1962، 57ص».

---

(1) مقدمة رسائل الكندي: ي- س/ﷺ، و ﷺ/ﷺ.

(2) طبقات الأطباء لابن جلجل: ص ﷺ/ﷺ هـ ﷺ، ومقدمة رسائل الكندي: ح هامش ﷺ.

(3) معجم المطبوعات العربية ﷺ/ﷺ/ﷺ- ﷺ/ﷺ/ﷺ.

(4) مقدمة رسائل الكندي: ح، هامش «ﷺ».

(5) نفس المصدر: والهامش.

(6) الإعلام: ﷺ/ﷺ/ﷺ/ﷺ

(7) نفس المصدر والصّفحة والجزء.

(8) ذكر جرجي زيدان في «تاريخ آداب اللغة العربية: ﷺ/ﷺ/ﷺ» هذا الكتاب، وأنّ نسخة مخطوطة توجد منه في مكتبة منشن.

(9) الأعلام: ﷺ/ﷺ/ﷺ الكندي لكوركيس: ﷺ/ﷺ

(10) تاريخ الشّعوب الإسلامية: ﷺ/ﷺ/ﷺ

14- كتاب المصوتات الوترية من ذات الوتر الواحد إلى ذات العشرة أوتار: حققه الأستاذ زكريا يوسف عن مخطوطة فريدة عثر عليها سنة 1955 في خزانة كتب بدليان بجامعة اكسفورد.

15- مختصر الموسيقى في تأليف النّغم وصنعة العود: حققه الأستاذ زكريا يوسف، نشره عن نسخة برلين.

16- الرّسالة الكبرى في التّأليف، أو الكتاب الأعظم في التّأليف: حققها الأستاذ زكريا يوسف عن نسخة المتحف البريطاني ومن هذه الرّسالة الأخيرة، اقتبس الأستاذ زكريا يوسف، تمريناً للضرب على العود، وطبعه بالزّنكغراف، وجسد اللحن منه بالعلامات الموسيقية الحديثة «النّوطة» وجعل ذلك بعنوان: أقدم وثيقة موسيقية للحن مدون عند العرب من القرن الثّالث للهجرة: تمرين للضرب على العود تأليف الفيلسوف العربي العراقي أبي يوسف يعقوب بن إسحق الكندي «بغداد 1962، ص4»[1].

في الحقيقة أننا أمام هذا النّزر القليل من مؤلفات فيلسوفنا المطبوعة، في حين أنّ المصادر تشير إلى أن مؤلفاته تزيد على 240 كتاباً ورسالة عند ابن النّديم، ويزيد هذا العدد عند ابن أبي أصيبعة، وقد كان الغرب أحسن حظاً من الشّرق في المعرفة بآثار الكندي وآرائه، فكانت هناك ترجمات لاتينية لبعض كتبه، وكانت توجد إشارات متفرقة لبعض آرائه عند مختلف المفكرين، وكانت أكبر مجموعة من آرائه مذكورة في رسالة لاتينية تحوي نقداً لآراء الفلاسفة بعنوان «رسالة في أخطاء الفلاسفة» نشرها لأوّل مرة P. mandnnet- لوفان 1911، وفيها آراء كثيرة تنسب للكندي[2].

وكان بودي لو أتمكن من ذكر مؤلفاته المنشورة باللاتينية، والّتي يبدو لي من خلال حديث الكاتب الفرنسي ألدوميلي أنّها كثيرة ولها أهميتها في الغرب يقول: «وعلى الرّغم من أنّ عدداً قليلاً جداً -نسبياً- من مؤلفات الكندي الكثيرة معروف الآن بنصه العربي، فإنّ التّرجمات اللاتينية لكتبه من العصور الوسطى كثيرة، قام بجزء عظيم منها جيرارد ودي كريمونا ونشرت بعد ذلك في أوائل عهد الطّباعة، ثمّ في العهد الحديث»[3].

ويؤسفني بأنّي لم أتمكن من تحقيق هذه المحاولة ذلك لعدم توفر المصادر المقتضية لها.

(1) اعتمدنا في ذكر مؤلفات الكندي المطبوعة من رقم ﷺ- ﷺ الواردة في هذا العرض على «كوركيس- الكندي: ﷺ- ﷺ».

(2) مقدمة رسائل الكندي: ز، وهامشها ﷺ.

(3) العلم عند العرب: ﷺ- ﷺ.

المخطوطات في المكتبات العالمية

أمّا الكتب المخطوطة الموجودة في المكتبات العالمية:

1- ترجمة صدر كتاب أوقليدس: ذكر الأستاذ فؤاد رشيد[4] هذه الرّسالة، وأنّها توجد صورة لدى معهد المخطوطات العربية في جامعة الدّول العربية مأخوذة عن نسخة محطوطة 860 في مكتبة أيا صوفيا 2457- ف758 في صفحة واحد 11× 18سم جاء في أولها: الأسباب الّتي يكون منها العلم وبمعرفتها يحاط بالمعلوم.

2- رسالة الشّعاعات الشّمسية: ذكره نفس المصدر السّابق[5] توجد نسخة مصورة لدى معهد المخطوطات العربية في الجامعة عن نسخة بقلم نسخ جيد خطت عام 890 بالقاهرة، ومجموعها 18 ورقة، 10× 14سم، جاء في أوّلها: «أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام عز تأييده.. إنّه ليس بصغير الخطر علم مخارج الشّعاعات الشّمسية، وانعكاساتها عن الأجرام العاكسة لها.. الخ».

3- رسالة في إيضاح وجدان أبعاد ما بين النّاظر، ومراكز أعمدة الجبال، وتسمى «مورسطس».

ونفس المصدر السّابق[6] -أيضاً- ذكر هذه الرّسالة، ويوجد منها صورة لدى معهد المخطوطات العربية في الجامعة مأخوذة عن نسخة بقلم نسخ جيد كتبت في دمشق عام 626 في مكتبة أيا صوفيا 4830- ف765 في سبع أوراق 14× 20سم جاء في أوّلها: «أما بعد، أحاطك الله بصنعه، وأيدك بتوفيقه.. أنّ الّذي سألت فيه من الحيلة في البعد بين علامة مفروضة وبين مركز عمود الجبل».

4- كتاب التّرفق في العطر: في كيفيات العطر والتّصعيدات مصور بالفوتوغراف 30، 45 عن نسخة خطية بالأستانة ف1044 عن دار الكتب المصرية 747 طب[7].

وذكر الأستاذ أبو ريدة[1] ما يلي: «كتاب في كيمياء العطر والتّصعيدات، وهو يوجد في مكتبة أي صوفيا، برقم 3594،

(4) فهرست المخطوطات المصورة: ﷺ/ﷺ، وقد أورد ابن النّديم في «الفهرست: ﷺ» اسم هذا الكتاب «رسالة في أغراض أوقليدس».

(5) فهرست المخطوطات المصورة: ﷺ/ﷺ- ﷺ، وورد اسم الرّسالة في «الفهرست: ﷺ» و«عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ﷺ» رسالة في الشّعاعات، كما جاء ذكرها في «تذكرة النّوادر من المخطوطات العربية: ﷺ- ﷺ حيدر آباد دكن».

(6) فهرست المخطوطات المصورة: ﷺ/ﷺ، وورد اسم الرّسالة هذه في «الفهرست: ﷺ» وعيون الأنباء في طبقات الأطباء: ﷺ» باسم «معرفة أبعاد الجبال».

(7) الفهرست التّمهيدي- معهد المخطوطات العربية: ﷺ.

وذلك بحسب روايات ريتر، ويرجع تاريخ هذا المخطوط إلى 14 جمادى 405هـ».

5- كتاب في علم الكتف: اطلعت على هذا الكتاب في مكتبة المخطوطات بالمدرسة المستنصرية ببغداد خط على النّسخة الموجودة في مكتبة علي باشا الشّهيد الواقعة قرب جامع الشّهزاده في القسنطينية نسخة الأصل عام 1328، أمّا النّسخة المشار إليها فتقع في 62س صفحة سطر 19، 21، 16سم، ثمّ نسخها عام 1335هـ بخط عادي.

وذكر أبو ريدة[2] هذه الرّسالة فقال: «وقد ذكرها بليسر في مجلة Lslamica- المجلد الرّابع ص557، ومنها نسخة في دار الكتب المصرية».

6- رسالة في اختيارات الأيّام: قال الأستاذ أبو ريدة[3]: «وقد اطلعت عليها بمكتبة ليدن في أغسطس 1948، وهي الرّسالة الثّانية ورقة 19ظ- 30ظ من مجموعة رسائل تنجيمية وفلكية ورياضية رقمها 199، وربما يرجع تاريخ هذه المجموعة إلى عام 608هـ وهو التّاريخ الموجود في آخر رسالة للكندي في نفس المخطوط».

وقد ذكر هذه الرّسالة أيضاً جرجي زيدان[4].

7- رسالة في استخراج الأبعاد بذات الشّعبتين: ذكر المصدر السّابق[5] من ص29ظ- 36و، من نفس المخطوط المتقدم «رسالة في اختيارات الأيّام» وقد كتبها إلى أبي العبّاس بن المعتصم.

وقد ذكر محمّد لطفي جمعة[6] ذات الشّعبتين، آلة فلكية في ليدن.

8- رسالة في السّيوف: ورقة 17و- 30ظ

9- رسالة في القضاء على الكسوف: ورقة 57و- ظ

10- كتاب في الباه: ورقة 57ظ- 59و.

11- رسالة في استخراج المعمى إلى أبي العبّاس أحمد بن المعتصم: ورقة 59و- 64ظ

12- رسالة في اللثغة: ورقة 64ظ- 66و.

13- رسالة في إيضاح وجدان أبعاد ما بين النّاظر ومركز أعمدة الجبال، وعلو أعمدة الجبال[7]: ورقة 66ظ- 70و.

هذه الرّسائل السّت من ضمن المجموعة الخطية في مكتبة أيا صوفيا 4832، ويقول الأستاذ أبو ريدة[8] عنها: «أمّا رسائل الكندي فهي مكتوبة بخط قديم من النّوع النّسخي الكوفي، يكاد يكون خالياً من كلّ تنقيط ويستدل ريتر «المستشرق الألماني الّذي اكتشف هذه المخطوطة» من قطع الورق «33× 13سم» ومن لونه البني، ومن عدد الأسطر «32 سطراً في الصّفحة» على أنّ المخطوطة يرجع تاريخها إلى القرن الخامس الهجري».

ويوجد لهذه النّسخة صورة فوتوغرافية بدار الكتب المصرية تحت رقم 3626.

14- كتاب في الصّناعة الكبرى: أورد الدوميلي[9] هذا الكتاب في ملحق كتب الرّياضيات والفلك، مخطوط في استانبول كراوزه رقم 45.

15- كتاب إلهيات أرسطو: ذكر محمّد لطفي جمعة[10] أنّه «كلام في الرّبوبية نسخه في مكتبة برلين».

16- رسالة في الإبانة عن وحدانية الله: ذكر الدّكتور ذبيح الله صفا[11] أنّ هذه الرّسالة موجودة ضمن مجموعة خطية في مكتبة المجلس بطهران رقم 634.

17- مقالة تحاويل السّنين: ذكر جرجي زيدان[12] أنّ نسخة من هذه المخطوطة موجودة في مكتبة الأسكوريال.

18- رسالة في اللحون[13]: ونفس المصدر السّابق يقول: أنّها محفوظة في مكتبة برلين الرّسمية، رقم 5531.

19- كتاب العزم في تأليف اللحون: ويوجد هذا الكتاب في المتحف البريطاني قسم المخطوطات، شرقيات 2361 ظهر الورقة 165، المصدر السّابق.

20- رسالة في النّفس: ذكر أبو ريدة[14]: أنّ هذه الرّسالة موجودة في المكتبة التّيمورية رقم 55 بدار الكتب المصرية،

---

(1) مقدمة رسائل الكندي: س. والظّاهر أنّه مر ذكره في مطبوعات الكندي رقم ﷺ

(2) مقدمة رسائل الكندي: س.

(3) مقدمة رسائل الكندي: س.

(4) مقدمة رسائل الكندي: س.

(5) تاريخ آداب اللغة العربية: ﷺ/ﷺ

(6) تاريخ فلاسفة الإسلام: ﷺ

(7) سبق أن ذكرنا اسم هذا الكتاب وأنّه موجود منه صورة فوتوغرافية في معهد المخطوطات العربية بالجامعة العربية.

(8) مقدمة رسائل الكندي: ي- س.

(9) العلم عند العرب: ﷺ

(10) تاريخ فلاسفة في الإسلام: ﷺ

(11) تاريخ علوم عقلي در تمدن إسلامي: ﷺ/

(12) تاريخ آداب اللغة العربية: ﷺ/ﷺ

(13) ولعل هذه الرّسالة هي الّتي طبعها الأستاذ يوسف زكريا بعنوان «كتاب المصوتات الوترية».. راجع مطبوعات الكندي رقم ﷺ من كتابنا هذا.

(14) تاريخ الفلسفة في الإسلام: ﷺ «».

وهي ضمن مجموعة من «ص63- 76» وقد ذكر فيها الكندي آراء لأرسطو وأفلاطون.

وقد نشر هذه الرّسالة ضمن الجزء الأوّل من رسائله المطبوعة «ص272- 282».

مع صاعد والقفطي

هذا هو كلّ ما توصلنا إليه من آثار الكندي العلمية، ومع هذا الاعتراف الّذي يكاد يكون إجماعياً بأنّه كان رجلاً موسوعياً تتصل كتبه بأكثر العلوم السّائدة في عصره، فقد وجدنا من يحاول تقليص عددها، أو تقليل أهميتها.

فمن ذلك ما ذكره صاعد الأندلسي[1] عن مؤلفاته قائلاً أنّها: «كتب قد نفقت عند النّاس نفاقاً تماماً، وقلما ينتفع بها في العلوم، لأنّها خالية من صناعة التّحليل الّتي لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل في كلّ مطلوب إلا بها.

وأمّا صناعة التّركيب وهي الّتي قصد يعقوب في كتبه هذه إليها فلا ينتفع بها إلا من كانت عنده مقدمات فحينئذ يمكن التّركيب، ومقدمات كلّ مطلوب لا توجد إلا بصناعة التّحليل، ولا أدري ما حمل يعقوب على الإضراب عن هذه الصّناعة الجليلة، هل جهل مقدارها، أو ظن على النّاس بكشفه، وأي هذين كان فهو نقص فيه، وله بعد هذا رسائل كثيرة في علوم ظهرت له فيها آراء فاسدة، ومذاهب بعيدة عن الحقيقة».

ويتبع القفطي[2] رأي سلفه صاعد فيردد ما ذكره بلون آخر -في حين أنّه لا يختلف معه بالنّتيجة- فيقول: «وكان مع تبحره في العلم يأتي بما يضعه مقصراً فيذكر مرة حججاً غير قطعية، ويأتي مرة بأقاويل خطابية وأقاويل شعرية، وأهمل صناعة التّحليل الّتي لا تتحرر قواعد المنطق إلا بها، فإن يكن جهلها فهو نقص عظيم، وإن يكن ظن بها فليس ذلك من شيم العلماء، وأمّا صناعة التّركيب الّتي قصدها في تواليفه فلا ينتفع بها إلا المنتهي الّذي هو في غنى بتبحره في هذا النّوع».

ولو فتشانا عبارات القفطي هذه لما رأيناها تختلف في الحقيقة عن رأي سلفه صاعد، وربما تأثر أحدهما بالآخر.

وقد أثار موقف صاعد بن أبي أصيبعة[3] فقال: «هذا الّذي قاله القاضي صاعد عن الكندي فيه تحامل كثير عليه، وليس ذلك مما يحط من علم الكندي، ولا مما يصد النّاس عن النّظر في كتبه والانتفاع بها».

وقد يكون من أسباب هذا التّحامل اختلافهما العقائدي، فالكندي معتزلي أو شيعي يعيش في بغداد وصاعد أندلسي يختلف معه في المذهب، وقد يكون للاتصال العبّاسي أثر في ذلك.

وإذا أردنا أن نحسن النّظر بصاعد فادعاء عدم اطلاعه على ما دونه الكندي وهو المؤرخ المغربي -البعيد عن آفاق فيلسوفنا في بغداد- هو الأقرب، وهو لم يذكر له من مؤلفاته إلا 50 مؤلفاً في حين أنّ ابن النّديم بلغ بها إلى ما يزيد على 240، وابن أبي أصيبعة إلى ما يزيد على 280.

ومصطفى عبد الرّازق[4] يقول: «ولسنا ندري كيف يقولون أنّ الكندي أهمل صناعة التّحليل في المنطق مع إنّا نجد في أسماء كتبه تفسيرات وشروحاً على «أنولوطيقا الأولى» تحليل القياس، وعلى «أنولوطيقا الثّانية» البرهان، ولم يترك الكندي قسماً من أقسام المنطق لم يعرض له بالشّرح والبيان، وبالاختصار أحياناً».

وبعد هذا فإنّ مؤلفات الكندي الّتي بين أيدينا، وآرائه المنتشرة في ثنايا الكتب تدل على اطلاع واسع وعمق علمي، وتفهم للمواضيع الّتي يطرقها.

ومن جهة أخرى لو تصفحنا عناوين الكتب الّتي يوردها ابن النّديم لفيلسوفنا فإنّها تعرب عن أنّ هذا الرّجل كما يقول: فاضل دهره وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها[5]، ولا يستطيع صاعد ولا القفطي ولا غيرهما أن يحط من مكانته العلمية بهذه العبارات فإنّ الرّجل الّذي اعترف له أغلب المؤرخين والكتاب أنّه طرق مختلف الفنون والعلوم، وضمنها المادة الغزيرة في شتى الميادين، وخاصة العلوم الفلسفية، والّتي كانت بمثابة فتح كبير للعالم الإسلامي في نقلها من لغاتها الأجنبية إلى العربية، وتطعيم الحضارة الإسلامية بالثّقافة اليونانية بأسلوبه الجميل، إنّ هذا الرّجل لا يمكن أن يتطرق إليه النّقص والتّوهين بأمثال هذه النّقود الباهتة.

هل كان الكندي أديباً؟

عرف الكندي بالفلسفة، وأخذت مؤلفاته الطّابع العلمي، بحيث طغت هذه الصّفة على باقي جوانبه الثّقافية، واستوعبت جميع نتاجه الفكري.

ولكن هل نستطيع أن نلتمس لفيلسوفنا جانباً أدبياً يقف إلى جنب ما اشتهر به من الفلسفة والطّب والرّياضيات؟

(1) طبقات الأمم: ﷺ- ﷺ.

(2) أخبار الحكماء: ﷺ.

(3) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: ﷺ.

(4) فيلسوف العرب والمعلم الثّاني: ﷺ.

(5) الفهرست: ﷺ.

للجواب على ذلك نعود إلى المصادر الّتي يمكن أن نجمع عنها معلوماتنا في بناء هذا الجانب لنستشيرها، وهي على قسمين: يتمثل أولاهما بأقوال مؤرخيه، وما يمكن أن نلقيه على هذا الجانب من أضواء:

قال المرزباني[1] أنّه: «المتحقق بعلوم الأوائل، يقول المقطعات وضمنها أبياتاً لغيره».

وقال القفطي[2]: «أنّه خدم الملوك مباشرة بالأدب».

وذكر ابن نباته[3] أنّه: «اشتغل بعلم الأدب».

وذهب ابن حجر[4] بأنّ: «له معرفة بالأدب».

وتحدث الأستاذ عبد الحميد سامي بيومي: «ومما يدل على ممارسة الكندي للأدب ما نقلوه عنه من نقد الشّعر، وفي الجدل، وأسرار البلاغة العربية، حتّى ذكروا أنّ له كتاباً في صنعة الشّعر»[5].

وأظن أنّ أضواء هذه الأقوال ونظائرها ضئيلة جداً لخلوها من التّحديد، وعدم توفرها على نماذج من أدبه تصلح أن تكون مستنداً لهذه الدّعاوى، وكل ما تفيدنا أنّه كانت لصاحبنا مشاركة في هذا الفن صححت لهم نسبة هذه الصّفة إليه، أمّا ما يكشف لنا عن مدى صحة هذه النّسبة وأهميتها إليه، فهو ما يتكفله:

القسم الثّاني من المصادر وأقصد بها آثاره الأدبية من شعر ونثر، وما يتصل بها من نقد وتقييم.

أمّا شعره:

فقد ذكر له المرزباني[6] أبياتاً أربعة كتب بها إلى بعض إخوانه يهنئه بخروج شهر رمضان، وإقبال شوال.. يقول:

هنـاك أبـا الحسين خـروج شـهر
يفـرق صـومه اللـذات جـدا
فـلا زالـت كؤوسـك معمـلات
تـشكّى منـك أتعابـاً وكـدا
تغنـى كلمـا يلقـاك كـأس
ألا يـا ديـر حنظلـة المفـدى
تخطـاك الحـوادث نائيـات
وتلقـي مـن طـوال العـيش سـعدا

(1) معجم الشّعراء: عليه السلام.
(2) أخبار الحكماء: عليه السلام.
(3) سرح العيون: عليه السلام.
(4) لسان الميزان: رحمه الله/عليه السلام.
(5) مجلة الأزهر: عليه السلام/عليه السلام.
(6) معجم الشّعراء: عليه السلام- عليه السلام.

وذكر له ابن أبي أصيبعة[7] هذه الأبيات:

أنـاف الـذّنابي علـى الأرؤس
فغمـض جفونـك أو نكـس
وضـائل سـوادك، واقـبض يـديك
وفـي قعـر بيتـك فاسـتجلس
وعنـد مليكـك فـابغ العلـو..
وبالوحـدة اليـوم فاسـتأنس
فـإنّ الغنـى فـي قلـوب الرّجـال
وإنّ التّعـزز بـالأنفس
وكـائن تـرى مـن أخـي عـسرة
غنـى وذي ثـروة مفلـس
ومـن قـائم شخـصه ميـت
علـى أنّـه بعـد لـم يـرمس
فـإن تطعـم الـنّفس مـا تـشتهي
تقيـك جميـع الّـذي تحتـسى[8]

وذكر له ابن نباتة[9]:

تقـصر عـن مـداها الـرّيح جريـاً
وتعجـز عـن مواقعهـا الـسّهام
تناهـب حـسنها حـاد وشـاد
فحـث بهـا المطايـا والمـدام

وذكر له ابن نباتة[10] أيضاً:

هجـرت فـي القـول لا إلا لعارضـة
تكـون أولـى بـلا فـي اللفـظ مـن نعـم

(7) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: عليه السلام/رحمه الله- رحمه الله.
(8) ذكر ابن نباتة في «سرح العيون: رحمه الله» خمسة أبيات فقط من هذه المقطوعة هي البيت «عليه السلام ورحمه الله ورحمه الله ورحمه الله»، وعلق الأستاذ محمّد لطفي جمعة على هذه الأبيات في «تاريخ فلاسفة الإسلام: رحمه الله» قائلاً: «وعندي أنّ هذه الأبيات تدل على حالة نفسية حزينة تدنى هذا الفيلسوف العربي القديم من شوبنهور، ولا غرابة إذا كان الحزن ميزة الحكماء، فهو كما قال زيلر في كتابه «تاريخ فلاسفة اليونان» علامة الأمم المفكرة».
(9) سرح العيون: رحمه الله عليه السلام.
(10) نفس المصدر: رحمه الله عليه السلام، وقال ابن نباتة: أنّ الكندي أنشد هذا البيت عندما سمع رجلاً ينشد قول ربيعة الرّقي:
لـو قيـل للعبّـاس يـا بـن محمّـد قـل لا وأنـت مخلـد مـا قالهـا
فقال: ليس يجب أن يقول الإنسان في كلّ شيء نعم، وكان الوجه أن يستثنى ثمّ أنشد البيت المذكور.

وهذا كلّ ما استطعنا أن نحصل عليه من شعر فيلسوف العرب، فهل ينهض هذا القدر دليلاً على شاعريته؟

الحق أنّ هذا المقدار من الشّعر، وإن لم يكشف عن قابليته الشّعرية تماماً، إلا أنّ الّذي يستطيع أن يقول أمثال هذه الأبيات -لو صحت عنه- يستطيع أن يقول أضعافها عادة، وهي تعطيه -لو كان بقية شعره على هذا المستوى- طابعاً شعرياً يرتفع به إلى أواسط شعراء عصره، هذا كلّه من ناحية شعره.

أمّا نثره:

فقد حفظ التّاريخ لنا -بالإضافة إلى رسائله الفلسفية ذات الأسلوب المعبر- قطعاً نثرية غنية بجمال الأسلوب وروعة التّصوير، وأهم هذه القطع ما جاء في وصيته لولده: «يا بني كن مع النّاس كلاعب الشّطرنج، تحفظ شيئك، وتأخذ من شيئهم، فإنّ مالك إذا خرج عن يديك لم يعد إليك، واعلم أنّ الدّينار محموم فإذا صرفته مات، واعلم أنّه ليس شيء أسرع فناء من الدّينار إذا كسر، والقرطاس إذا نشر، ومثل الدّرهم كمثل الطّير الّذي هو لك ما دام في يدك، فإذا ندّ عنك صار لغيرك».

وقال المتلمس:

قليل المال تصلحه فيبقى
ولا يبقى الكثير مع الفساد
لحفظ المال خير من فناء
وسير في البلاد بغير زاد

ونقل ابن أبي أصيبعة[1] قطعة أخرى له:

«يا بني: الأب رب، والأخ فخ، والعمّ غم، والخال وبال، والولد كمد، والأقارب عقارب[2]، وقول لا يصرف البلاء، وقول نعم يزيل النّعم».

ونقل الثّعالبي[3] عنه:

«سماع الغناء برسام حاد، لأنّ المرء يسمع فيضطرب، ويطرب فيسمح، ويسمح فيعطي، ويعطي فيفتقر، ويفتقر فيغتم، ويغتم فيمرض ويمرض فيموت..».

قال أبو نؤاس:

وجدت الذّ عارية الليالي
قران التّغم بالوتر الفصيح

ومن كلماته:

«اعتزل الشّر فإنّ الشّر للشرير خلق، من لم ينبسط لحديثك فارفع مؤونة الاستماع عنك، اعص الهوى وأطع من شئت، لا تغتر بمال وإن كثر، لا تطلب الحاجة إلى كذوب فإنّه يبعدها وهي قريبة، ولا إلى جاهل فإنّه يجعل حاجتك وقاية لحاجته، لا تنجو مما تكره حتّى تمتنع عن كثير مما تحب وتريد، العاقل يظن أنّ فوق علمه علماً، فهو أبداً يتواضع لتلك الزّيادة، والجاهل يظن أنّه قد تناهى فتمقته النّفوس لذلك، فليتق الله تعالى المتطبب، ولا يخاطر فليس عن الأنفس عوض وكما يجب أن يقال أنّه كان سبب عافية العليل وبرئه فليحذر أن يقال أنّه كان سبب تلفه وموته، من لم يكن حكيماً لم يزل سقيماً»[4].

إنّ هذه القطع النّثرية الّتي أوردتها، وهذه الشّذرات المتفرقة -لو صحت عنه- فإننا نستطيع أن نستفيد منها صورة جلية تعكس لنا إمكانيته الأدبية، فإنّ تعبيره ووصفه، وخاصة -في القطعتين الأولى والرّابعة- لتدلان دلالة واضحة على ذوق أدبي رائع، ولعلكم لمستم مدى تأثره بكلم سيد البلغاء الإمام علي(عليه السلام) في الفقرات القصار الّتي انطوى كلّ منها على تجربة عميقة.

والحقيقة أنّ الّذي يأتي بأمثال هذه الكلمات: «من لم ينبسط لحديثك فارفع عنه مؤونة الاستماع منك».

«اعص الهوى وأطع من شئت».

«لا تنجو مما تكره حتّى تمتنع عن كثير مما تحب وتريد».

ليستغرب منه صدور ما رواه ابن أبي أصيبعة من قوله: «الأخ فخ، والعمّ غم، والخال وبال.. الخ» وأظن أنّ ما فيها من ضحالة المضمون وتكلف الأسلوب ما يغني عن التّعليق، ولعلها من الكلم الدّخيل عليه.

أمّا رسائله الفلسفية المطبوعة فتكاد تكون خالية من الحديث عن هذه الجوانب إلا ما تعكسه أحياناً من أسلوبه، وتعبيره الخاص.

وإليكم من هذه الرّسائل قطعتين لم أتعمد اختيارهما لخصوصية فيهما، مقتطعة أولاهما من كتاب الفلسفة الأولى يقول في تعريف الفلسفة والغاية منها: «إنّ أعلى الصّفات الإنسانية منزلة وأشرفها مرتبة صناعة الفلسفة الّتي حدها علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان، لأنّ غرض الفيلسوف في

(1) عيون الأنباء في طبقات الأطباء: عليه السلام.

(2) عقب الثّعالبي في «التّمثيل والمحاضرة: رحمه الله» على هذه الكلمة ببيت ابن المعتز:

لحومهم لحمي ودمهم يأكلونه ... وما داهيات المرء إلا أقاربه

(3) التّمثيل والمحاضرة: عليه السلام رحمه الله.

(4) مقدمة رسائل الكندي: رحمه الله.

علمه إصابة الحق، وفي عمله العمل الحق، لا الفعل سرمداً لأنّا نمسك ويتصرم الفعل إذا انتهينا إلى الحق.

ولسنا نجد مطلوباتنا من الحق من غير علة، وعلة وجود كلّ شيء وثباته الحق، لأنّ كلّ ماله إنية له حقيقة، فالحق اضطراراً موجود، إذن لا نيات موجودة.

وأشرف الفلسفة وأعلاها مرتبة الفلسفة الأولى، أعني علم الحق الأوّل الّذي هو علة كلّ حق، ولذلك يجب أن يكون الفيلسوف التّام الأشرف هو المرء المحيط بهذا العلم الأشرف، لأنّ علم العلة أشرف من علم المعلول لأنّا إنما نعلم كلّ واحد من المعلومات علماً تاماً إذا نحن أحطنا بعلم علته.

لأنّ كلّ علة إمّا أن تكون عنصراً، وإمّا صورة، وإمّا فاعلة أعني ما منه مبدأ الحركة، وإمّا متممة أعني ما من أجله كان الشّيء»[1].

والقطعة الثّانية من رسالته في النّفس، ويتكلم فيها عن سموها إذا ارتفعت عن حضيض الشّهوة في هذه الدّنيا.. يقول: «وهذه النّفس الّتي هي من نور الباري عزّ وجل، إذا هي فارقت البدن، علمت كلّ ما في العالم، ولم يخف عنها خافية، والدّليل على ذلك قول أفلاطون حيث يقول: إنّ كثيراً من الفلاسفة الطّاهرين القدماء، لما يتجرد من الدّنيا، وتهاونوا بالأشياء المحسوسة، وتفردوا بالنّظر والبحث عن حقائق الأشياء، انكشف لهم علم الغيب وعلموا بما يخفيه النّاس في نفوسهم، واطلعوا على سرائر الخلق.

فإذا كان هذا هكذا، والنّفس بعد مرتبطة بهذا البدن في هذا العالم المظلم الّذي لولا نور الشّمس لكان في غاية الظّلمة، فكيف إذا تجردت هذه النّفس، وفارقت البدن، وصارت في عالم الحق الّذي فيه نور الباري سبحانه»[2].

ومن هاتين القطعتين يتمثل لنا الصّفاء في التّعبير الفلسفي مما يدل على أنّ فيلسوفنا استطاع أن يخضع بأسلوبه الأدبي هذه المفاهيم المعمقة لشيء من الوضوح والجلاء النّسبيين.

وهناك جانب ثالث ربما يكشف عن بعض جوانب أدبه، هو ممارسته للنقد الأدبي، فقد ذكر ابن نباتة[3] عنه أنّه كان حاضراً عند أحمد بن المعتصم، وقد دخل عليه أبو تمام فأنشد قصيدته السّينية فلما بلغ إلى قوله:

إقدام عمرو في سماحة حاتم

في حلم أحنف في ذكاء أياس

قال الكندي: ما صنعت شيئاً؟

قال: كيف؟

قال: ما زدت على أن شبهت ابن أمير المؤمنين بصعاليك العرب وأيضاً أنّ شعراء دهرنا تجاوزوا بالممدوح من كان قبله، ألا ترى قول العكوك في أبي دلف حيث قال:

رجل أبر على شجاعة عامر

بأساً وغبر في محيا حاتم

فأطرق أبو تمام ثمّ أنشد:

لا تنكروا ضربي له من دونه

مثلاً شروداً في النّدى والبأس

فالله قد ضرب الأقل لنوره

مثلاً من المشكاة والنّبراس

ولم يكن هذا في القصيدة، فتعجب منه، ثمّ طلب أن تكون الجائزة ولاية عمل، فاستصغر عن ذلك، فقال الكندي: ولوه، فإنّه قصير العمر، لأنّ ذهنه ينحت من قلبه، فكان كما قال.

ومرة سمع الكندي إنساناً ينشد ويقول:

وفي أربع مني حلت منك أربع

فما أنا أدري أيّها هاج لي كربي

خيالك في عيني أم الذّكر في فمي؟

أم النّطق في سمعي؟ أم الحب في قلبي[4]؟

فقال: والله لقد قسمها تقسيماً فلسفياً.

وهذه الشّواهد تدل على أنّ للكندي ذوقاً أدبياً يستطيع به التّقييم بالإضافة إلى ما يدل عليه من سعة معارفه الأدبية، وقد ذكروا له في مؤلفاته كتاباً يسمى «من نسج بيتاً فنبز به، ومن نسج بيتاً فنسب إليه»[5]، ربما يتصل بهذا الجانب من أدبه.

والظّاهر أنّ الأستاذ الشّيخ محمّد الخليلي استند إلى هذه الشّذرات القصيرة المأثورة من أدبه، واعتبره أديباً فذكره في معجم أدباء الأطباء[6].

نهاية المطاف

(1) رسائل الكندي: ﷺ - ﷺ ﷺ

(2) نفس المصدر: ﷺ ﷺ

(3) سرح العيون: ﷺ ﷺ

(4) سرح العيون: ﷺ ﷺ

(5) الفهرست: ﷺ ﷺ

(6) ص ﷺ/ ﷺ ﷺ ﷺ

بعد أن خضنا طويلاً فيما زخرت به حياة الكندي مستهدفين إعطاء صورة واضحة الملامح -مهما أمكن- عن شخصيته في حدودها التّاريخية لا يسعنا -ونحن في ختام الحديث عنه- إلا أن نذكر التّأكيد على:

أوّلاً- البيئة الّتي عاش فيها فيلسوفنا، والّتي لا نشك في أنّه كان متأثراً بها والّتي لا يكون من المبالغة أنّها هي الّتي دفعت به إلى هذه المجالات الفكرية الشّاسعة الّتي طاف بها.

فلقد كانت بغداد حقلاً مزدهراً بما أفاد منه الفكر الإنساني في مختلف العصور الّتي لحقته، ولا شك أنّ لهذا أثراً واضحاً في تكوين شخصية الكندي، وتبوأه هذه المكانة في الحقل العلمي.

ثانياً- العقيدة المنيعة الّتي كان يؤمن بها فيلسوف المسلمين والعرب إيماناً لم تستطع الفلسفة بكلّ عقليتها وحقائقها وشكوكها أن تهزه ولو يسيراً، وذلك لا يكشف عن أنّ الكندي مسلم فحسب، بل يكشفه لنا إنساناً يؤمن إيماناً عقلياً لا يهتز أمام أي عاصف.

ثالثاً- إنّ هذه البحوث المتقدمة ما هي إلا رحلة في حياة أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي التّاريخية.

أمّا حياته الفكرية -والفلسفية بصورة خاصة- أثرها وتأثرها فمجال الحديث عن ذلك سيكون الجزء الثّاني من هذا الكتاب، الّذي أرجو منه تعالى أن يوفقني إلى إتمامه في أقرب وقت ممكن، فهو ولي التّوفيق.

❖ ❖ ❖

المصادر والمراجع

1- أخبار العلماء بأخبار الحكماء- علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطي.. ط: السّعادة- القاهرة 1326.

2- أرسطو- عبد الرّحمن بدوي.. ط: لجنة التّاليف والتّرجمة والنّشر القاهرة 1944.

3- أسد الغابة في معرفة الصّحابة- علي بن محمّد الجزري «ابن الأثير».. ط: الإسلامية طهران.

4- الاشتقاق- محمّد بن الحسن بن دريد.. ط: المحمّدية القاهرة 1958.

5- أعلام الفلسفة العربية- كمال اليازجي، وانطوان غطاس كرم.. ط: بيروت 1957.

6- الأعلام- خير الدّين الزّركلي -الطّبعة الثّانية- ط: القاهرة.

7- أفلاطون- عبد الرّحمن بدوي.. ط: لجنة التّاليف والتّرجمة والنّشر القاهرة 1944.

8- الانتصار- عبد الرّحيم بن محمّد الخياط المعتزلي.. ط: دار الكتب المصرية القاهرة 1925.

9- البخلاء- عمرو بن بحر الجاحظ. ط: دار الكاتب المصري 1948.

10- بسائط علم الفلك- يعقوب صروف.. ط: المقتطف القاهرة.

11- البصريات الهندسية- الدّكتور مصطفى نصيف القاهرة.

12- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب- محمود شكري الآلوسي.. ط: دار الكتاب العربي مصر 1342.

13- البيان والتّبيين- عمرو بن بحر الجاحظ. ط: لجنة النّشر والتّاليف مصر 1949.

14- تاريخ ابن خلدون- عبد الرّحمن بن خلدون.. ط: دار الكتاب اللبناني بيروت 1956.

15- تاريخ آداب اللغة العربية- جرجي زيدان.. ط: دار الهلال القاهرة 1957.

16- تاريخ الأدب العربي- أحمد حسن الزّيات.. ط: الاعتماد 1930.

17- تاريخ الإسلام- الدّكتور حسن إبراهيم حسن..ط: القاهرة 1953.

18- تاريخ الأمم والملوك- محمّد بن جرير الطّبري.. ط: الاستقامة القاهرة 1939 «الطّبعة الثّانية».

19- تاريخ التّمدن الإسلامي- جرجي زيدان.. ط: الهلال القاهرة 1904.

20- تاريخ الخلفاء- عبد الرّحمن السّيوطي.. ط: السّعادة القاهرة 1959.

21- تاريخ الشّعوب الإسلامية- كارل بروكلمان: ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي- دار العلم للملايين «الطّبعة الثّالثة».

22- تاريخ العرب «مطول»- فيليب حتى وأدور جرجي وجبرائيل جبور.. ط: الكشاف بيروت 1952.

23- تاريخ العرب «موجز»- الدّكتور فيليب حتى.. ط: دار العلم بيروت 1945.

24- تاريخ علوم عقلي در تمدن إسلامي- الدّكتور ذبيح الله صفا «فارسي».. ط: جامعة طهران 1336.

25- تاريخ الفرق الإسلامية- علي مصطفى الغرابي.. ط: الأزهر القاهرة 1959.

26- تاريخ الفلاسفة- عبد الله أفندي.. ط: هندية القاهرة 1910.

27- تاريخ فلاسفة الإسلام- محمّد لطفي جمعة.. ط: المعارف القاهرة 1927.

28- تاريخ الفلسفة العربية- حنا الفاخوري وخليل الجر.. ط: المعارف بيروت 1957- 1958.

29- تاريخ الفلسفة في الإسلام- دي بور.. ترجمة محمّد عبد الهادي أبو ريدة.. ط: لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر 1948.

30- تاريخ الفلسفة اليونانية- يوسف كرم.. ط: لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر 1958.

31- تاريخ مختصر الدّول: غريغوريوس بن هارون الملطي أبو الفرج بن العبري.. ط: الكاثوليكية بيروت 1958.

32- تاريخ الموسيقى العربية- هـ ج. فارمر ترجمة الدّكتور حسين نصار.. ط: دار الطّباعة الحديثة القاهرة 1956.

33- تتمة صوان الحكمة- ظهر الدّين علي البيهقي.. ط: لاهور 1351.

34- تذكرة النّوادر من المخطوطات العربية- دائرة المعارف العثمانية.. ط: حيدر آباد الدّكن 1950.

35- تراث الإسلام- جمهرة من المستشرقين ترجمة جرجيس فتح الله المحامي.. ط: العصرية الموصل 1954.

36- التّراث اليوناني في الحضارة الإسلامية- عبد الرّحمن بدوي.. ط: القاهرة.

37- تراث العرب العلمي في الرّياضيات والفلك- قدري حافظ طوقان.. ط: لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر القاهرة 1954.

38- التّمثيل والمحاضرة- أبو منصور عبد الملك الثّعالبي.. ط: القاهرة 1381.

39- تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية- مصطفى عبد الرّازق.. ط: لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر 1959.

40- التّوفيقات الإلهامية- محمّد مختار باشا.. ط: بولاق 1311.

41- تهافت الفلاسفة- محمّد بن محمّد الغزالي- تحقيق «دينا سليمان».. ط: دار المعارف مصر 1955.

42- الجماهر في معرفة الجواهر- محمّد بن أحمد البيروني.. ط: حيدر آباد دكن 1355.

43- الحضارة الإسلامية- أدام متز ترجمة- محمّد عبد الهادي أبو ريدة.. ط: لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر القاهرة 1957.

44- الحضارة الإسلامية- خواد بخش ترجمة الدّكتور علي حسين الخربوطلي.. ط: مصر 1960.

45- حضارة الإسلام- جوستناف جرديناوم ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد.. ط: مصر 1956.

46- الحيوان- عمرو بن بحر الجاحظ تحقيق «عبد السّلام هارون».. ط: البابي الحلبي القاهرة 1938.

47- الخالدون العرب- قدري حافظ طوقان.. ط: دار العلم للملايين بيروت 1954.

48- خزائن الكتب العربية- الفيكينت دي طرازي.. ط: بيروت 1947.

49- خزائن الكتب القديمة- كوركيس عواد.. ط: المعارف بغداد 1948.

50- دائرة المعارف البريطانية- باللغة الإنكليزية.

51- دائرة المعارف البستاني- بطرس البستاني.. ط: المعارف بيروت 1881.

52- دائرة معارف القرن العشرين- محمّد فريد وجدي.. ط: دائرة معارف القرن العشرين القاهرة 1938.

53- دائرة المعارف الموسيقية- جول رووايت- تعريب اسكندر شلفون.. ط: مصر.

54- الذّريعة إلى تصانيف الشّيعة- الشّيخ آغا بزرك الطّهراني.. ط: النّجف، وطهران.

55- رسائل الكندي الفلسفية- يعقوب بن إسحاق الكندي.. ط: الاعتماد القاهرة 1950 ولجنة التّأليف والتّرجمة 1953.

56- زبدة الصّحائف في أصول المعارف نوفل نوفل.. ط: بمبئ 1323.

57- سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون- جمال بن محمّد بن نباتة المصري.. ط: بولاق 1278.

58- سير ملهمة- صموئيل ينشون ووليام دويت ترجمة إسماعيل مظهر.. ط: مؤسسة فرانكلين للطباعة القاهرة 1961.

59- ضحى الإسلام: الدّكتور أحمد أمين.. ط: لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر القاهرة 1956.

60- طبقات الأطباء والحكماء- سليمان الأندلسي المعروف «بابن جلجل».. ط: المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشّرقية بمصر.

61- طبقات الأمم- أبي القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي.. ط: السّعادة مصر.

62- عبقرية العرب في العلم والفلسفة- الدّكتور عمر فروخ.. ط: بيروت 1952.

63- العرب في التّاريخ- برنارد لويس تعريب نبيه أمين فارس ومحمود يوسف زايد.. ط: دار العلم للملايين بيروت 1954.

64- عصر المأمون- الدّكتور أحمد فريد الرّفاعي.. ط: دار الكتب المصرية 1928.

65- العقد الفريد- ابن عبد ربه الأندلسي.. ط: الأزهرية مصر 1928.

66- العلم عند العرب- ألدوميلي ترجمة الدّكتور عبد الحليم النّجار والدّكتور محمّد يوسف موسى.. ط: دار القلم بالقاهرة 1962.

67- علم الكتف- يعقوب بن إسحاق الكندي مخطوط خزانة المخطوطات بالمستنصرية ببغداد رقم 1489.

68- العلوم عند العرب- قدري حافظ طوقان.. ط: مكتبة مصر القاهرة 1956.

69- عيون الأنباء في طبقات الأطباء- أحمد بن القاسم الخزرجي المعروف «بابن أبي أصيبعة».. ط: الإقبال بيروت 1957.

70- الغيث المنسجم في شرح لامية العجم- صلاح الدّين الصّفدي.. ط: الأزهرية مصر 1305.

71- فجر الإسلام- الدّكتور أحمد أمين.. ط: لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر القاهرة 1955.

72- فرج المهموم في تاريخ علماء النّجوم- رضي الدّين علي بن طاووس.. ط: الحيدرية النّجف 1368.

73- الفلسفة الإسلامية- الدّكتور إبراهيم مدكور.. ط: القاهرة 1947.

74- الفهرست- محمّد بن إسحاق بن النّديم.. ط: الرّحمانية القاهرة 1348.

75- الفهرست التّمهيدي- إصدار معهد المخطوطات بجامعة الدّول العربية.

76- فهرست المخطوطات المصورة- فؤاد رشيد.. ط: القاهرة 1960.

77- فيلسوف العرب والمعلم الثّاني- مصطفى عبد الرّازق.. ط: دار إحياء الكتب العربية القاهرة 1945.

78- الكشاف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف- محمّد أسعد طلس.. ط: بغداد 1953.

79- كشف الظّنون عن أسماء الكتب والفنون- حاجي خليفة كاتب جلبي.. ط: البهية استانبول 1943.

80- الكندي- كوركيس عواد.. ط: دار التّمدن بغداد 1962.

81- لسان الميزان- أحمد بن حجر.. ط: حيدر آباد الدّكن 1331.

82- مجاني الأدب- لويس شيخو.. ط: الآباء اليسوعيين.

83- مجلة الأزهر مقال «التّعريف بالكندي»- عبد الحميد سامي بيومي «11/223- 227».

84- مجلة الرّسالة «الكندي ورجال الدّين»- الدّكتور أحمد فؤاد الأهواني «16/51- 53».

85- مجلة العرفان «الكندي يداوي بالألحان»- الدّكتور يحيى الهاشمي «34/169- 171».

86- مجلة العلوم «تاريخ الجغرافية عند العرب»- محمّد ياسين الحموي «419/ س2».

87- مجلة العلوم «حينما كان العلم في خدمة العرب»- الدّكتور عمر فروخ «143/ س2».

88- مجلة لغة العرب «دين الكندي»- الأب انستاس كرملي «302- 303».

89- مجلة المقتطف «التّعريف بالكندي»- محمّد المتولي «85/318».

90- مجلة المجمع العلمي العراقي «رسائل في الموسيقى»- الدّكتور جواد علي «1/104».

91- مجلة المجمع العلمي العراقي «الجغرافيا عند المسلمين والشّريف الإدريسي»- محمّد بهجت الأثري «2/49- 68».

92- مروج الذّهب- علي بن الحسين بن علي المسعودي.. ط: السّعادة مصر 1958.

93- مشكلات الفلسفة- الدّكتور صالح الشّماع.. ط: شركة الطّبع والنّشر الأهلية بغداد 1961.

94- المعتزلة- زهدي حسن جار الله.. ط: مصر القاهرة 1947.

95- معجم الأدباء- ياقوت الحموي «تحقيق مرجليوث».. ط: هندية القاهرة 1930.

96- معجم أدباء الأطباء- محمّد الخليلي.. ط: الغري النّجف 1946.

97- معجم الشّعراء- محمّد بن عمران أبو عبد الله المرزباني.. ط: دار الكتب القاهرة 1960.

98- معجم المطبوعات العربية- يوسف أليان سركيس.. ط: سركيس مصر 1928.

99- معجم المؤلفين- عمر رضا كحالة.. ط: التّراقي دمشق 1961.

100- مفتاح السّعادة- أحمد بن مصطفى بطاش كبرى زاده.. ط: حيدر آباد الدّكن.

101- مقدمة رسائل الكندي «دراسة»- محمّد عبد الهادي أبو ريدة «رسائل الكندي» الاعتماد القاهرة 1950.

102- المكافأة- أحمد بن يوسف الكاتب.. ط: بولاق 1941.

103- الملل والنّحل- محمّد بن عبد الكريم الشّهرستاني.. ط: حجازي القاهرة 1948.

104- مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام- محمّد عبد الله عنان.. ط: مصر القاهرة 1952.

105- الموسوعة العربية- رئيس تحريرها نجيب فريحة.. ط: بيروت 1955.

106- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام- الدّكتور علي سامي النّشار.. ط: القاهرة 1954.

107- وفيات الأعيان- أحمد بن محمّد بن خلكان.. ط: النّهضة المصرية القاهرة 1948.

108- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين- إسماعيل باشا البغدادي.. ط: استانبول 1955.

109- الهوامل والشّوامل- أبو حيان التّوحيدي.. ط: لجنة التّآليف والتّرجمة والنّشر 1951.

***